عبد العظيم السيد خليفة

سأعيش فى جلباب جدى

رواية

الطبعة الأولى يوليه 2020

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	سأعيش فى جلباب جدى
المؤلف	عبد العظيم السيد خليفة
التصنيف	رواية
رقم الإيداع القانونى	10550 - 2020
الترقيم الدولى	978-977-6771-95-6
رقم الإصدار الداخلى	626 الطبعة الأولى يوليه 2020
عدد الصفحات	116 صفحة
تصميم الغلاف	المؤلف



توطئة وتمهيد

في عام 1970 وعلى وجه التحديد في بلد أطلق الناس عليها كفر النور؛ حيث الريف المصري الجميل وحقوله الخضراء, وسمائه الزرقاء, تدور أحداث قصتنا بين شغف أحدهم في الرقي بأهالي قريته, وتطويرها بما يناسب حياة الناس بها, وبين هؤلاء الحمقى الذين يحاربون كل ما هو جميل ويسعون جاهدين لتدميره .

بطل قصتنا : عبد العال أو الحاج محمد أبو المكارم له زوجتان, وخمسة أولاد وثلاث بنات, جلالة زوجته الأولى أم ولده إبراهيم أكبر أبناءه وزوجته الثانية محاسن أم حسن أصغر أبناءه .

عمدة كفر النور وأولاده سعيد ومحسن ومعهم شيخ البلد وشيخ الخفر, والشيخ علي شيخ المسجد, وعلوان باشا نائب الدائرة وزوجته سلوى هانم وهم أصحاب أملاك وأطيان زراعية, أما عويس أفندي فهو أحد أشهر الأعيان في كفر النور (معاك معاك عليك عليك)

رفاقه : الحاج إصلاح أبو عبد الحميد .. والحاج وهدان أبو حمدان .

ســأعيش في جلباب جدي

في السادسة مساءاً خرج عبد العال من بيته متوجهاً إلى السوبر ماركت ليقضي بعض طلبات زوجته بعد أن ألحت عليه كثيراً, خرج يترجَّل في الشارع الذي قد ازدحم عن أخره وهو يُدندن مع نفسه قائلاً : زحمة يا دنيا زحمة .. زحمة وتاهوا الحبايب .. زحمة ولا عادشِ رحمة .. مولد وصاحبه غايب, ولكنَّ ضجيج الشارع أجبره على الإسراع في خطواته, فهو يكره الضوضاء بقدر ما يعشقها أصحاب التكاتك .

بعد ساعة ونصف, انتهى عبد العال ممَّا قد خرج لأجله, وحمل الأكياس ونادى على ابن صديق له كان يعمل على توكتوك : خد ياد يا مجدي .

- مجدي : عم عبد العال, ازيك يا عم عبدالعال .. أخباركم أيه ؟؟
- عبد العال : بخير الحمد لله, ازيك أنت وازي أبوك .. عاملين أيه ؟؟
- مجدي : والله الحمد لله يا عم عبد العال أهو ماشي الحال .
- عبد العال : الحمد لله على كل حال .. طيب يلا اطلع بينا على البيت علشان أنا تعبان, وعاوز ألحق أخد دوش وأصلي العشا وأنام بدري عندي شغل من الصبح .

وبعد دقائق, وصلوا البيت ونزل عبد العال وأعطى مجدي عشرة جنيهات أخذها منه بعد إلحاح شديد ثم قال له : متنساش تسلملي على أبوك ياد يا مجدي .

- مجدي : حاضر يا عم عبد العال أنت تؤمر يا كبيرنا .

حمل عبد العال الطلبات وصعد بها إلى شقته, وفتح الباب ودخل حيث زوجته دلال, وأولاده محمود ومحمد وصغيرته الجميلة مريم في انتظاره, وقد أعدَّت له زوجته العشاء وجلسوا قليلاً أمام التلفزيون يشاهدون رائعة الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس (لن أعيش في جلباب أبي) .

وبعد أن انتهى من العشاء طلب من زوجته كوباً من الشاي الساخن, ثم دخل إلى غرفته ليخلع ملابسه, وحينما فتح الدولاب شاهد جلباب جده وعمامته وعصاه الخرزان المعوجة التي تركها له جده محمد أبو المكارم, الذي توفي بعد ولادته بعشر سنوات .. فأخذ يتحسس الجلباب تارة والعصى تارة أخرى, وارتجفت يداه حين أمسك بعمامة جده وأخرجها, ولما لا ؟! أليست تلك العمامة والعصى إرث من عبق الماضي وعراقته

ولأن الحنين للماضي وأيامه .. كحنين العاشق الولهان لرؤية عيون حبيبته؛ وضع عبد العال العمامة على رأسه ثم نظر لنفسه في المرآة فكأنما الهيبة قد حلَّت عليه, فقام بخلع البدلة وارتدى جلباب جده وأمسك العصى بيده .

ثم جلس على الكرسي وفجأة انتفض جسده وارتعشت يداه بقوة فأحكم قبضته على العصى, وبدأ يتذكر تلك الأيام التي خلت منذ زمن بعيد, ويستجمع تلك الذكريات التي كان جده محمد يحكيها له وهو طفل صغير .

فأغمض عينيه منتظراً أن تأتي له زوجته بكوب الشاي وبينما هو كذلك سمع صوتاً من بعيد ينادي عليه : يا حاج محمد .. الشاي يا حاج محمد .

فهب واقفاً مندهشاً فإذا به يجد نفسه وقد عاد به الزمان خمسين عاماً !! فسقط على الأرض مغشياً عليه .

وبعد ساعتين بالتمـام والكمـال .. استفاق ليجد نفسه في بيت مبني بالطوب اللبن ومعروش بالعرق والسدة وعليه أكوام من قش الأرز وبداخله زريبة للمواشي ويقف إلى جواره مجموعة من الرجال يقولون له : ألف ألف سلامة عليك يا حاج محمد قلقتنا عليك يا راجل .

عبد العال يقول في نفسه : ما الذي جرى ؟! هل يعقل أن عدت بالزمن إلى الوراء؟! لا .. لا .. لا يمكن أن يحدث هذا !!

ثم هبَّ واقفاً يبحث كالـمجنون عن مرآة ولكن أنَّي له بمرآة في هذا البيت, فأسرع إلى الخارج, فتسمرت قدماه بعد خطوتين فقط .. حين رأى الفضاء من حوله يملأ جميع الأنحاء .. أين البيوت ؟! أين الشوارع ؟! لا شيء !!

الـمكان ليس به إلا حوالي ثلاثون بيتاً أو يزيد قليلاً, البيوت كلها متشابهة, وكل منزل بداخله زريبة للمواشي, وإلى جواره كوم السباخ الخاص به .

عبد العال لا يزال مصدوماً بلا لا يكاد يصدق نفسه أيعقل ؟! أم أنه مجرد حلم .

الناس من حوله يتهامسون : هل أصابه جنيٌّ أم ماذا ؟!

سمع صوت الـمـاء يتدفق في ترعة إلى جوار البيت؛ فذهب مهرولاً إليها, وبدأ يملئ كفيه بالـمـاء ويغسل وجهه ويستعيذ بالله من الشيطان؛ لعله كابوساً ولكن لا فائدة, بل لقد كانت الـمفاجأة الكبرى حين رأى وجهه في الـمـاء .. رأسٌ اشتعل فيها الشيب قليلاً, وبشرة مجعدة, وجه يبدو أنه في الخامسة والأربعين من العمر, فقال لنفسه : هذا الوجه ليس غريباً عليَّ .. أنا أعرفه جيداً .. نعم أعرفه .. هذا جدي !! يبدو أنَّ هذا ليس بحلم على الإطلاق, هذا هو الواقع, أعتقدُ أن روحي اختلطت بروح جدي حين ارتديتُ عمـامته وجلبابه .. على الأغلب أني أعيش الآن شخصيته, الآن أنا لست بعبد العال .. من عبد العال هذا أصلاً ؟؟ انت اتجننت يا حاج محمد ولا أيه ؟!

صوت ينادي يا حاج محمد .. يا حاااج محمد, التفت الحاج محمد ليرى من ينادي عليه إنها زوجته محاسن تناديه قائلة : مالك يا أبو إبراهيم فيك أيه يا أخويا ؟!

- الحاج محمد : مفيش يا حجة شوية صداع بس حالياً الحمد لله تمام وزي الفل .
- محاسن : طيب يلا ندخل جوه من البرد .

أخذ الحاج محمد زوجته ودخلا معاً ثم توجه إلى سريره واتكأ عليه, ثم أحضرت له زوجته قليلاً من المـاء الدافئ وبدأت تغسل قدميه, ولـمـا انتهت مال بظهره على السرير فغلبه النوم .. وقبل الفجر بحوالي نصف ساعة استيقظ من نومه, واستيقظت معه حريمه, وخرج إلى الصالة ونادى بأعلى صوته : يا ولاد .. انتم لسه نايمين يا ولاد ؟! عليه العوض الناس يقولوا عليَّ أيه؟! مخلفتش رجالة .. الفجر قرب يأذن وولادي كل واحد لسه نايم في حضن مراته !!

لحظات ,, وفُتحت جميع الأبواب؛ وخرج الجميع وأكملوا ارتداء ملابسهم في الصالة ولسان حالهم : احنا صاحيين والله يابا .

الحاج محمد : الناس كلها سرحت غيطانها من زمان وانتم لسه نايمين !! الحق مُش عليكم .. الحق عليَّ أصل أنا مخلفتش رجالة .

بدأ أولاده وزوجاتهم يتناوبون على يده يقبلونها .. وزوجته الأولى جلالة أحضرت له الطشت والإبريق وأخذت تصُب عليه لكي يتوضأ .. توضأ الجميع, وذهبوا معاً للمسجد ليصلوا الفجر في جماعة .. كان يتقدمهم وهم يسيرون خلفه يتمـايلون كالسكارى .

وقبل عودتهم من المسجد .. كانت زوجات أولاده قد قسَّمن أعمال المنزل بينهن, فخرجت إحداهن تكنس الشارع, وأخرى قامت بإخراج المواشي وربطهم على الطاولة أمام المنزل, وثالثة قامت بإشعال الفرن لخبز العيش السُخن والفطير والكُماج؛ أما الرابعة فقد أخذت القُلل والبلاليص إلى مرشح القرية لغسلهم وملئهم بالماء البارد .

لو أبصرتهم في تلك الحالة لجزمت يقيناً أنَّهم كخلية نحل داخل المنزل وخارجه؛ والحاج محمد يجلس على الكنبة الخشب وعليها حصيرة في المندرة, وأولاده يجلسون أمامه على حصير في أرضية الحجرة .

أخذ الحاج محمد يشعل الموقد أمامه وبه القلاويح وبراد الشاي والجوزة (النرجيلة) تمسكها له زوجته الثانية .. أحفاده أخذوا المواشي إلى الترعة ليسقوهم .. زوجته الأولى تولت تنظيف الزريبة والكنس تحت المواشي.. البط والأوز خرج إلى الترعة .

ابنته الصغرى وضعت الفطار له .. وفطر هو وأولاده وكان الفطار طبيخ عبارة عن الأرز والخضار الباقي من عشاء الأمس, وبعده تناولوا الشاي ثم قام أحفاده للفطار بعد أن فرغ جدهم من الأكل .

وبعد ذلك قامت زوجتيه وزوجات أولاده وبناته اللاتي لم يتزوجن بتناول فطورهن؛ وقبل طلوع الشمس كان الحاج محمد وأولاده قد سرحوا إلى الغيط بالمواشي؛ واصطحب كل منهم زوجته معه .

بدأ الحاج محمد بتوزيع الأعمال بين أولاده : أنت يا سيد علق الساقية واروي الأرض ال في أخر الدراع .. وأنت يا إبراهيم تمشط المروة والمصرف ومراتك تشتال وراك وتطلع على الجسر .

وأنت يا خميس خُد الحريم ونقي الحشائش ال في الأرض .. وأنت يا حسن خُد الأنفار بتوع العزيق واعزق الأرض كويس وافتح الخطوط عشان الـمياه تمشي كويس في الأرض .. وأنت يا رزق احرث الأرض ال فوق وش واتنين واتركها تجف وتتساوي بالزحيفة بعد كده كويس وتاخد حقها في التسبيخ .

والعيال ولادكم تحملوهم السباخ على الحمير ويمشوا وراهم يسرحوهم, وخد عيلين يركبوا على الزُحيفة, الزراعة بتاعتكم مش عجباني, والقطن ده مش عاجبني عشان الأرض مخدتش حقها في التسبيخ .

والرُز ال هناك ده مش عايز الـمياة تنشف منه, وشايف فيه حشايش حريمكم ينزلوا ينقوها .. وشوية كدا وهرجع أفوت عليكم .. وانتم عارفين ال هلاقي شغله مش عاجبني انتم عارفين هعمل فيه أيه هو ومراته .

- الجميع في صوت واحد : حاضر يابا .

وعاد الحاج محمد إلى بيته مرة أخرى ونادى : يا بت يا جلالة .. أنت يا بت يا محاسن .

- جلالة : أيوه يا حاج محمد .
- الحاج محمد : انتم قاعدين جوه بتعملوا أيه ؟!
- جلالة : مفيش احنا بنجهز الطحين عشان هنخبز .. عايز حاجة يا حاج ؟؟
- الحاج محمد : أيوه يا جلالة عايز شوية نار وابعتي عيل من العيال يجيب باكو معسل من الدكان بسرعة .
- جلالة : حاضر يا حاج,

أرسلت جلالة أحد أحفادها ليشتري لجده باكو دخان معسل من الدكان .. دقائق وعاد الطفل إلى جده فأعطاه مليماً وقبلة على جبينه فقام الطفل يتراقص فرحاً .. ثم أحضرت جلالة النار .. ووضع عليها الحاج محمد قطعة من المعسل .. وبدأ في شُرب الجوزة (النرجيلة) .. بدأ الدخان يتطاير في المندرة والحاج محمد وكأنه يعيش في عالم أخر .. لم ينتبه إلا بعد أن اقتربت منه محاسن وهزَّت كتفه

- وقالت : يا حاااج محمد .. مالك يا حاج سرحان بتفكر في أيه ؟؟
- الحاج محمد : مفيش يا أم رزق .. الواحد شايل هموم الدنيا على راسه زي ما يكون شايل جبل .
- محاسن : ربنا يكون في عونك ويقويك على ال انت فيه
- الحاج محمد : بقولك أيه يا أم رزق اعملي حسابك فيه رجالة هيجوا يتغدوا معايا بعد الظهر .
- محاسن : يشرفوا وينوروا البيت يا أخويا .
- الحاج محمد : ومتنسيش كمان تعملي أكل للعيال وحريمهم ال في الغيط وأنا قلتلهم يبعتوا عيل من ولادهم ياخد لهم الغدا .. وياخد لهم كمان قُلة مايه يشربوا منها
- محاسن : حاضر يا حاج كل حاجة هتكون جاهزة في ميعادها متشلش هم .

الحاج محمد انتفض قائماً ينظف ثيابه .. وأخذ عمامته وتناول عصاه الخرزان وتأهب للخروج

- فسألته محاسن : على فين العزم كدا يا حاج ؟!
- الحاج محمد : مفيش .. هقوم أروح المسجد علشان ألحق الظهر وأعدي على الأرض أشوفها بالمرة وأنا ماشي .

- محاسن : ماشي يا حاج .. خد بالك من نفسك .

خرج الحاج محمد من البيت وامتطى حماره, بعد أن وضعت عليه محاسن السراج وناولته الشمسية .. الحاج محمد يتأمل في الأرض الخضراء من حوله .. الـمـاء يجري في الترعة, الناس في الأرض ينادونه .. ويسلمون عليه .. وذاك الرجل الـمخبول الذي كلمـا رآه تراقص فرحاً وصاح في الناس

- قائلاً : العمدة أهو يا نااااس .. عمدتنا جه يا نااااس .
- الحاج محمد : يا ابني أنا مش العمدة هتوديني في داهية .. الله يصلح حالك .
- الـمخبول : لا .. أنت حضرة العمدة .. غصب عن الكل .
- الـمخبول : العمدة أهو يا نااااس .. عمدتنا جه يا نااااس .

أكمل الحاج محمد طريقه إلى أرضه فرآه أحفاده من بعيد وهم يلعبون بالعصى .. ففروا هاربين كل إلى أبيه .. ولـمـا وصل أوقف حماره عند الساقية وقام بربطه في الشجرة .. ونادي على ابنه : يا سيد .. ياد يا سيد .

- السيد : نعم يابا .
- الحاج محمد : هات ياد شوية برسيم للحمـار .. وتعالى وريني عملتم أيه النهاردا في الأرض ؟؟
- السيد : وجاي ليه يابا ومبهدل نفسك .. كل ال أنت قلت عليه عملناه بالحرف .
- الحاج محمد : ازاي يا ابني أنا بقالي يومين ما اطمننتش على الزرع بنفسي .. وقلبي واكلني عليه, أنا بحس يا سيد يا ابني إن الأرض بتحن ليَّ لـمـا أجي أطل عليها .. وبحس إن الزرع بيكون فرحان وإنه بينتظرني كمـان .

الزرع يا ابني بيحس زينا بالظبط .. وبيحب كمان ال بيهتم به وبيزعل لو صاحبه غاب عنه .. الزرع ده روح زينا ناقصها بس إنها تتكلم .. ولو أنت حسيت بالزرع ورويته في ميعاده وسبخت الأرض وعزقتها كويس؛ هتلاقيه فرحان .. وبيتكلم بس محدش فاهم لغته .

- السيد : عندك حق والله يابا .. ربنا يخليك لينا وميحرمناش منك ومن نصايحك أبداً يا رب, والله مش عارف احنا من غيرك كنا هنعمل أيه ؟!
- الحاج محمد : طيب يلا قوم كمل ال كنت بتعمله .. وأنا هاخد لفة كدا على أخواتك أشوفهم عاملين أيه ؟! بس متحلش الساقية إلا بعد ما الأرض تتروى كويس وتشبع مايه .. ولما حرارة الشمس تشد ابقى صفي المايه؛ علشان لو سخنت في الأرض هتموت الزرع .
- السيد : حاضر يابا أنت تؤمرني .
- الحاج محمد : ومتنساش يا ابني البهايم .. غيرهم أول بأول علشان ميتعبوش دي روح زينا وممكن يشتكونا لربنا .. وأكلهم وشربهم كويس .
- السيد : حاضر يابا .

وبدأ الحاج محمد يتمختر على جسور الأرض والابتسامة لا تفارق وجهه .. وكلما وجد أحداً أبناءه نصحه كيف يؤدي ما عليه على الوجه الأكمل .

وبعد ما الحاج محمد اطمأن على الشغل قال للسيد ابنه : أنا هروح أصلي الظهر في المسجد وانت ابقى هات الحمار معاكم وانتم راجعين .. علشان هقابل عمك الحاج وهدان وأبوك الحاج إصلاح وهيجوا يتغدوا معايا .

وبعد حوالي ساعتين إلا ربع .. وصل الحاج محمد إلى بيته وبرفقته صديقيه العزيزين الحاج إصلاح أبو عبد الحميد عن يمينه, والحاج وهدان الشرقاوي على شماله وصل ونادى على زوجته الأولى : يا أم إبراهيم خلي حد من العيال يفتح لنا باب المندرة .

ثواني قليلة ,, وفتح أصغر الأحفاد باب المندرة .. ودخل الحاج محمد وأذن لصاحبيه بالدخول .. جلسوا يتناوبون الحديث حول أحوال القرية حتى استوقف الحاج محمد صديقه الحاج إصلاح : أنت بتقول أيه يا أبو عبد الحميد !!

- إصلاح : أه والله ده ال حصل فعلاً .
- الحاج محمد : ازاى وأمته ده حصل ؟!
- إصلاح : من حوالي يومين تلاتة .. كنت ماشي بجوار العمودية رايح للحاج وهدان وسمعتهم بيقولوا كدا .
- الحاج محمد : حق الكلام ده صح يا حاج وهدان ؟!
- وهدان : اه .. صح يا أبو إبراهيم .. العمدة هو ال قال إننا لازم نتجمع عنده بكرة بعد العصر علشان نمضي على التفويض ده .
- الحاج محمد : يا جدعان الكلام ده ميصحش .. احنا رجالة لنا رأي بردو .. العمدة على راسنا من فوق مقولناش حاجة؛ لكن ده غلط كبير في حقنا .. وأنا مش هعرف أسكت على المهزلة دي أبداً !!

انخفض صوت الجميع ليرتفع صوت جلالة : يا أبو إبراهيم .. الغدا جاهز .

الحاج محمد : ماشي يا حاجة .. يلا حاج وهدان .. يلا يا أبو عبد الحميد ناكل لقمة سوا وبعدين نشوف الموضوع ده .

الحاجة جلالة ومحاسن كانوا دبحين دكرين بط وفرختين وعملوا جمبهم شوية مسقعة وحلة بامية زي الشهد وبطاطس .. وبعتت الواد ابن إبراهيم الصغير ينادي لأمه تيجي هي ومرات رزق ياخدوا الأكل .

وقبل الحاج محمد ما يخلص الأكل كان الشاي على النار .. ودخل الحاج محمد يجيب الشاي والحاج وهدان قام جهز الجوزة .. وانهالوا عليها شرباً .

وبعدها أن انتهوا استأذن الحاج أبو عبد الحميد ووهدان .. وهما ماشين قالوا للحاج محمد : هنتقابل بكرة في صلاة العصر علشان نروح دوار العمدة !!
الحاج محمد : ال فيه الخير يقدمه ربنا .. في أمان الله .
عاد الحاج محمد بعد أن أحكم إغلاق باب المندرة .. ونادى على محاسن وقال لها : جهزي أوضة النوم يا محاسن علشان هدخل أريح شويه على ما العصر يأذن .
جلالة لضُرتها : انتي مسمعتيش يا محاسن .. يلا قومي اغسلي وشك وإيدك بالصابونة الريحة وحُطي شوية عطر وغيري هدومك وجهزي الأوضة للحاج .. وابقي ولعي عود بخور وخليكي معاه وشوفي طلباته أيه .. ومتشغليش بالك بالأكل وشغل البيت أنا هخلص بقية الأكل ال هنا .. والبت عيشة ونفيسة هيغسلوا المواعين وينضفوا المندرة .
وابقي ولعي الوابور سخني المايه للحاج, انتي عارفه إنه بيحب يتشطف بمايه دافية لما يصحي من النوم .. المهم قوليلي : عندك غيار مغسول ولا تاخدي غيار من عندي ؟!
محاسن وهي تضحك : عاملة حسابي لكل حاجة يا أم إبراهيم .. هي دي تعديني بردو, متحرمش منك أبداً يا رب .
وبعد العصر بساعتين, استيقظ الحاج محمد من نومه .. وخرج وهو يتمطع في الصالة ونادي على جلالة : يا أم إبراهيم .. ينفع كدا يعني يا أم إبراهيم .. تسبينا نايمين لحد دلوقتي وصلاة الجماعة تضيع مني ؟!

- جلالة : ما هو مينفعش يا حاج محمد أخبط على باب الأوضة وانتم نايمين .. تيجي ازاي يعني .. والناس يقولوا عليَّ أيه ؟! غيرانة منها !! دا كانت إيديَّ تنقطع قبل ما أخبط على الباب .

- جلالة لـ محاسن : ينفع دي تيجي مني يا محاسن .. دا في ناس كتير سألوا عليك يا حاج وأنا قلتلهم إنك نايم .. قالولي : يا ريت تصحيه ضروري .. قلتلهم : مينفعش !!
- جلالة تنادي محاسن التي لا زالت في غرفتها : تعالي يا محاسن خدي عشاكم .. أنا سخنت لكم الأكل .. كُلي وأكلي الحاج كويس وفصصي له دكر البط .

خرجت محاسن من الغرفة وقد رُسمت على وجهها ابتسامة .. وقالت لـ جلالة : والله مش عارفه أعمل أيه معاكي يا جلالة يا اختي .. دا ال يشوفنا ميقولش علينا إننا ضراير أبداً .. يقول : اتنين إخوات ومتجوزين راجل واحد !!

- جلالة تضحك وقالتلها : يا عبيطة ما هو لو احنا أخوات مكنش ينفع نتجوز راجل واحد .. يحظك ربنا يا محاسن .

حملت محاسن صينية الأكل ودخلت حجرتها .. والحاج محمد أخد دش وتوضئ وصلى العصر .. واقعد يتغدى مع محاسن, ولما انتهى قام وارتدى جلبابه للخروج وقال لـ محاسن : نوليني العصاية بتاعني يا أم رزق .

- محاسن : حاضر يا حاج .. هو أنت رايح فين ؟؟
- الحاج محمد : هتمشى شوية, وبعدين أروح الجامع أصلي المغرب .. وهفضل لما العشا تأذن أصليها بالمرة, وربنا يسامحك انتي وال قاعدة برة دي ضيعتوا مني العصر في جماعة .. وخرج الحاج محمد من غرفته ونادى على جلالة : يا حجة أم إبراهيم .
- جلالة : نعم يا سيد الناس .
- الحاج محمد : ال حصل منك النهاردا ده ميتكررش تاني أبداً .. وكلمتي تتسمع وتتنفذ بالحرف الواحد .

جلالة : حاضر يا أخويا .. غلطة ومش هتتكرر تاني .

- الحاج محمد : الولاد زمانهم دلوقتي خرجوا من الغيط وعلى وصول .. لما يوصلوا بالسلامة تحلبي لهم المواشي .. وتعطي لكل واحدة أكلها هي وجوزها وولادهم .
- جلالة : حاضر يا حاج .
- الحاج محمد : ومتنسيش تعطي لكل واحدة طاجن لبن ربَّما تحب تعمل حاجة لجوزها وعيالها .. طول النهار شقيانين وتعبانين .
- جلالة : حاضر يا حاج من غير ما تقول أنا عاملة حسابي .. ال بقولك يا حاج هو أنت هتتأخر برة ؟؟
- الحاج محمد : ليه ؟! في حاجة ولا أيه ؟؟
- جلالة : مفيش يا حاج .. طلب صغير كدا كنت عاوزه أتكلم معاك فيه .
- الحاج محمد : طيب ممكن يتأجل لـ بالليل عمَّا أصلي وأرجع بعد العشا .. ولا فيه استعجال ؟!
- جلالة : لا يا حاج .. ممكن يتأجل وماله لمَّا ترجع بالسلامة إن شاء الله .

وفي حوالي الساعة السابعة ونصف .. كان الحاج محمد قد وصل إلى البيت بعد أن ودع صاحبيه الحاج إصلاح والحاج وهدان .. وأثناء عودته وجد المخبول ينادي عليه : يا عمدة .. يا عمدتنا .

- الحاج محمد : تاني .. هو انت يا ابني مفيش وراك غيري .. أنا زهقت أقولك أنا مش العمدة .. المخبول يقاطعه : لا .. أنت العمدة .. أنا عارف .
- الحاج محمد يضحك : خلاص ماشي أنا العمدة .. بس لو العمدة سمعك بتقول كده هنروح أنا وانت في داهية .

- الـمخبول : انت بتضحك وتتريق عليَّ .. ومين قالك إنه هيعرف يعمل فيا حاجة هو أصلاً مات .
- الحاج محمد : مات !! مات ازاي ياد يا مخبول .. أنا كنت لسه جاي من عند العمودية أهو .. والدنيا تمام وزي الفل .
- الـمخبول : ما أنا عارف يا عمدة إن هو لسه مامتش .. بس هو خلاص انكتب عليه الـموت .. وال هو ناوي يعمله بكرة بعد العصر هيجيب أجله .
- الحاج محمد : بكرة بعد العصر !! انت عرفت منين الكلام ده ياد ؟!
- الـمخبول : أنا عارف كل حاجة, وكمـان أنا خايف عليك يا عمدة من ال هيحصل !!
- الحاج محمد : عارف كل حاجة !! وكمـان خايف عليَّ ازاي يعني ؟! أنا مش فاهم منك حاجة خالص .

الـمخبول يجري وسط الأراضي ويقول : بكرة تعرف يا عمدة .. خلاص هانت .

استمر الحاج محمد في سيره وهو يتكأ على عصاه .. وبين الحين والأخر يضحك ويخبط كفاً على كف ويقول : صدق من سمَّـاك مخبولاً .

وصل البيت ونادى : افتحي الباب يا أم إبراهيم .. فأسرعت جلالة تفتح الباب ولسان حالها : حمد الله على السلامة يا حاج محمد .

- الحاج محمد : خير يا ست الكل .. كنتي عاوزه تقوليلي أيه ؟!
- جلالة : طيب مش هتاكل لقمة الأول ؟!
- الحاج محمد : لا مش قادر والله .. مالك في أيه ؟!
- جلالة : لو تعبان وعاوز تنام مش ضروري .. ولـمَّـا تكون فاضي هقولك .

- الحاج محمد : لا .. أنا فاضي وأنا ال قلتلك خير فيه أيه ؟!
- جلالة : خير يا حاج .. خير إن شاء الله .. والله مش عارفه أقولك أيه ؟؟ أصل البت حسنات مرات إبراهيم ابنك قالتلي : إن مرات شعبان الخياط شافت البت أسماء بنت إبراهيم وهي على المُرشح بتملى القلل, فعجبتها وطلبتها منها لابنها عويس وبتاخد رأيي !!

الحاج محمد احمر وجهه واعتدل على سريره وقال بصوت عالي : والله عال العال يا ولاد دا ال كان ناقص .. ما هو احنا معدش لنا لازمة بقا .. فينك يابا تعالى شوف ال بيحصل .. احنا بقينا في أخر الزمان ولا أيه ؟!

الحاج محمد مرة أخرى : وانتي بقا قلتيلها أيه يا جلالة .. أظن قلتيلها يا ألف مرحبا .. احنا نكسيها ونوديها لهم خدامة لعند بيتهم !!

- جلالة : لا والله يا حاج .. أنا قلت لها احنا ملناش في الكلام ده يا حسنات ده مواضيع تخص جدها وأبوها .

خرج الحاج محمد من حجرته وهو يشيط غضباً, وجلس في الصالة .. ونادى بصوت مرتفع : ياااا إبراهيم .. انت يا زفت يا ال اسمك إبراهيم .. تعال انت ومراتك .

هبَّ إبراهيم واقفاً وخرج مسرعاً : أيوه يابا خير في أيه .. فيه حاجة حصلت ؟!

- الحاج محمد : خير أيه .. هو انت خليت فيها خير انت ولا مراتك, فعلاً أنا خلفت عيل مخلفتش راجل !!
- إبراهيم : ليه بس يابا .. أنا لا سمح الله عملت حاجة غلط .

- الحاج محمد : بُص يا ابني انت تاخد مراتك دلوقتي من إيدها وتوديها دار أبوها, وخد معاك قرشين صاغ أهو اشتري منهم 2 كيلو فاكهة وانت رايح توديها .. وتقعد تشرب الشاي وتسيبها وتيجي .. وكمـان قول لأبوها الحاج عرفات أبويا الحاج محمد بيقولك انت كنت اعطيتنا أمانة واحنا بنردهالك ومتشكرين وسيبهم وتعالى .
- إبراهيم : طيب فيه أيه يابا ؟؟ أيه ال حصل .. لو مراتي عملت حاجة غلط قولي وأنا أكسر دماغها .
- الحاج محمد : ال قولتلك عليه تقوم تعمله دلوقتي يا إبراهيم .. وملكش دعوة بمراتك ولا تهوب نحيتها .
- إبراهيم : حاضر يابا .. وعلى الفور قام ونفذ كلام أبوه بالحرف دون أن يعرف ماذا فعلت زوجته, في الوقت الذي خرجت فيه جلالة لتهدأ من غضب زوجها الحاج محمد وبصوت رقيق قالت له : والله يا حاج أنا قلتلها لو أبوكي الحاج عرف هيكون أخر يوم لكي في البيت .. بس هي ال أصرت إني أقولك .
- الحاج محمد : ابنك هو ال خِرِع .. وهو ال اعطى الفرصة لـمراته تتدخل في ال ملهاش فيه, ما هي عادت شغل حريم .. والبت بنت إبراهيم لو هتعنس ولو معدش رجالة في الدنيا إلا ابن شعبان ده مش هتتجوزه ولا هتدخل بيتهم .. البيت ال تحكمه واحدة ست مينفعش, وكمـان ميلزمناش, وبعدين مرات ابنك لو متربية وبتفهم في الأصول كانت قالت لها قولي لجوزك أو سيدك وهم يجيوا ويطلبوا إيدها من أبوها ولا مني .. فعلاً هي عادت شورة نساويين .
- جلالة : خلاص يا أخويا هدي نفسك .. صحتك عندنا بالدنيا كلها .

دقائق ودخل إبراهيم فناداه أبوه : تعال يا إبراهيم .. تعال, وانتي يا أم إبراهيم اعملينا شوية شاي .. اقعد يا إبراهيم .

جلس إبراهيم بجوار أبيه .. ووضع أبوه يده على كتفه وقال له : يا ابني ليه تدَّي الفرصة لـمراتك تتدخل في ال ملهاش فيه .. انت ال سيبت لها من الأول .. وبعدين الزمام لازم يكون في إيدك انت .. رأي مراتك بيكون استشاري فقط دا إذا حبيت وفي حاجات حاجات .. ورأي بنتك في الزواج مطلوب ولكن انت كأب عارف مصلحة بنتك ومصلحة ولادك فين .. البنت ولا الولد بيختاروا بعواطفهم, أمَّا الراجل هو العقل ال بيفكر علشان كدا ربنا جعل له القوامة .

- إبراهيم : كلامك كله صح يابا .. أنا بس ال مش فاهم أيه ال حصل ؟! هيَّ بنت ال ..
- الحاج محمد : عيب يا ابني .. دا مهمـا كانت بنت ناس وال منرضهوش على بناتنا مينفعش نرضاه على بنات الناس, مراتك يا ابني في واحدة كلمتها على بنتك لابنها وبدل ما تقولها خلي أبوه يجي يطلب إيد بنتك مننا .. لا عملت ال ملهاش الحق إنها تعمله .. وكأننا في البيت هنا طراطير .
- إبراهيم : أسف يابا والله معرفش .. بس لو قولتلي وهيا هنا كنت كسرتها في بعضها .

بعد لحظات طُرق الباب .. وصوت ينادي من خارجه يا أبو إبراهيم .. قام إبراهيم وفتح الباب فإذا به الحاج عرفات ومعاه ابنه وبنته .

- عرفات : السلام عليكم يابا الحاج محمد .
- الحاج محمد : وعليكم السلام يا أبو عادل .
- عرفات : يا حاج محمد احنا ملناش بنات .. بنتنا من يوم ما دخلت بيتكم بقت بنتكم انتم ال تعلموها وتوجهوها وإذا غلطت تأدبوها .

- عرفات يخاطب حسنات : ادخلي يا قليلة الأدب حبِّي على إيد أبوكي الحاج وحماتك وأتاسفي لهم .. احنا يا حاج محمد مفيش عندنا بنات بتغضب البنت مجرد ما تتجوز متجيش لنا إلا زيارة فقط .
- عرفات : وبغض النظر على ال هيا عملته .. وال أنا مش عاوز أعرفه .. بس هي عندك أهي اقطع رقبتها .. وابعتلي وأنا هاجي أخدها وأدفنها .
- الحاج محمد : يا عرفات يا أخويا لازم تعرف بنتك عملت أيه وهي كمان تعرف غلطتها علشان معدتش تتكرر .. بنتك بتقول لحماتها إن مرات شعبان الخياط بتطلب منها إيد بنت إبراهيم لابنها .. أصل بنتنا معدومة الأب والجد والأعمام .. وعادت شغلة حريم .. أصل لمَّا جوزها يغضبها نرد على أمه .
- عرفات : معاك حق يا حاج محمد .. الأصول جوزها ولا أبوه ال يجي يطلب إيد بنتكم لو هم عايزنها لابنهم وانتم تقول آي أو لا .
- الحاج عرفات مرة أخرى : يا حاج محمد ال حسنات عملته ده غلط وغلط كبير كمان واحنا بنتأسف لك وأدي راسك أهي أحب عليها .

قام عرفات يحب على رأس الحاج محمد وقال لحسنات : خدي يا قليلة التربية .. ولسه رايح يرفع إيده ويضربها .. الحاج محمد : لا .. لا .. لو عايز تأدبها يكون في بيتك مش عندنا .. وأنا علشان جيتك ومقامك عندنا هعديها المرة دي بس .. وبعدين ابني هو ال غلطان علشان سايب الحبل على الغارب لمراته ومعطيها الفرصة إنها تتدخل في ال ملهاش فيه .

- عرفات : انت أبو الأصول يا حاج محمد .. وبعدما أخذ عرفات واجبه استأذن وترك ابنته حسنات تواجه مصيرها وحدها لتتعلم من دروس الحياة القاسية .. وكان عرفات يعلم يقيناً أن ابنته لن يصيبها أذى إطلاقاً .. حتى زوجها الطائش لن يستطيع أبداً أن يجرحها ولو بكلمة ليس ضعفاً منه .. لكنَّه يعلم أنَّ ابنته في بيت تربى على الأصول وحسن الضيافة والإكرام .. ولهذا عرف الحاج محمد بأبو المكارم .

وبعدما انصرف عرفات .. نادى الحاج محمد زوجة ابنه قائلاً : يا ابنتي ما حدث منك خطأ .. وهنا العقاب مشروع على قد الخطأ .. لهذا ستقومين من الفجر وتتولين أمور البيت كلها وحدك لن يساعدك أحد .

الحاج محمد رفع يده وأذن لها بالانصراف وقال : هيا قومي إلى أولادك .. ثم نادى على جلالة وابنه الأكبر وقال : يا أم إبراهيم

- جلالة : نعم يا حاج .
- الحاج محمد : هاتي ابنك وتعالي أنا عايزكم في كلمتين .

الساعة أوشكت على الواحدة صباحاً .. لا زال يتحدث مع ولده .. يبدو أنها ستكون ليلة طويلة .. أو سهرة حتى الصباح .

- الحاج محمد : أنا على فكرة زعلان منك انتي وابنك يا أم إبراهيم
- جلالة : عارفه إني غلطانة يا حاج بس كان لازم تعرف .. مكنش ينفع أسكت .
- الحاج محمد : مش موضوع غلطانة ولا مش غلطانة .. أنا مش بحاسبك أنا بوجهك بس, حريم ولادك أمانة عندنا يعني زي بناتك بالظبط واجب عليكي إنك توجهيهم وتعلميهم الصح والغلط, وتعرفيهم نظام بيتنا .. وأيه ال مفروض يتقال أو يتعمل وأيه ال ميتعملش ومينفعش إنه يتقال .

دي مسؤليتك انتي يا جلالة .. انتي ست البيت والبيت كله مسؤول منك .. ثم التفت الحاج محمد إلى ابنه إبراهيم وقال له : أما انت يا كبير أمك وأبوك .. فانت الغلط راكبك من فوقك لتحتك, مراتك متتجرأش تعمل حاجة زي كدا إلا إذا كنت انت السبب وفاتح لها صدرك ومهوي لها, تشد عليها .. لازم تشد عليها وتعرفها الأصول بالأصول مش بالضرب والإهانة, دي بنت ناس وال أنا مرضهوش لبنتي .. ولا انت ترضاه لبنتك مينفعش ترضاه لبنات الناس .

إبراهيم احمر وجهه؛ لكن هذه المرة .. احمر خجلاً لا غضباً بعد كلام أبيه الذي أكمل كلامه وقال له : يا ابني انت واجب عليك إنك توجه مراتك للصح .. وتعرفها إن فيه حاجات مينفعش إنها تدخل فيها .. أنا عارف إنها فرحانة إن فيه واحدة بتكلمها على بنتها, هي بردو أم ونفسها تشوف بنتها عروسة ولكن فيه أصول متتعداهاش .

وبعد حوار طويل .. قام الحاج محمد ونظر في ساعته واندهش .. دا الفجر خلاص هيأذن أهو .. طيب يلا ألحق أنام شوية علشان اعرف اصحي وأصلي الفجر جماعة .. قوم يا إبراهيم نام علشان تصحي من بدري .. عندك بكرة شغل كتير في الأرض .

في العمــودية

أشرقت شمس صباح اليوم الثلاثاء الموافق الثامن عشر من شهر يناير لعام 1970 كانت الطيور تغرد في كل مكان, والهدوء يعم كل الأركان, الكل خرج إلى عمله, الشيوخ والشبان في الحقول والأراضي .. النساء في البيوت قد قسمن العمل بينهن .

والأطفال قد انتهوا للتو من امتحانات الفصل الدراسي الأول .. الجو يدعو لكثير من المرح واللعب لهؤلاء الذين قد أنهكتهم الدراسة .. صحيح أنه لم تكن كرة القدم قد عرفت بعد في تلك القرى مترامية الأطراف .. لكن كان الكل يتفنن في اختراع بعض أنواع اللعب الجديدة .

خرج الأطفال إلى الشوارع يلعبون .. فإذا بخفر العمدة يجبون كل أنحاء (كفر النور) وينادون في الناس جميعاً أن هلموا إلى الدوار في نهاية النهار .. العمدة يريدكم ليخبركم بالقرار .

تعالت أصوات الأطفال وهو يرددون كلام الخفر .. بعض الناس فزع .. والأخرون ارتعدت فرائسهم .. الكل أصابته الحيرة - وأصبح يتسأل : لماذا يريدني العمدة ؟! هل أخطئت في شيء ما ؟! لا .. لقد دفعت الضرائب في نهاية العام !!

فقط قليل من كان يعرف الحوار؛ لكن لم يكن أحد ليتجرأ على الكلام .. الوقت يداهم الناس .. البعض يراقب قرص الشمس .. هل ربما حان وقت العصر ؟!

الرعب والخوف الذي انتشر في أرجاء (كفر النور) كان كفيلاً بموت ما لا يقل عن رجلين من بين كل عشرة رجال, الناس تتسأل .. ولكن الإجابات ما هي إلا مجرد تهكنات .. دقائق ولحظات وارتفع صوت المؤذن أن قد حان وقت صلاة العصر .

توضأ الجميع, المسجد امتلأ عن أخره لولا أنه يوم الثلاثاء لحسبت أنه يوم الجمعة .. تقدم شيخ المسجد وكبر .. أحدهم وقع مغشياً عليه من هول الموقف, ربما أنه لم يدفع ضرائبه بعد !!

انتهت الصلاة, خرج الناس من المسجد كخروجهم في صلاة الجنازة, بعضهم ضاع حذاءه .. وأخرون ارتدوا أحذية غيرهم !!

التقى الحاج محمد وصاحبيه, وتوجهوا معاً إلى دوار العمدة .. نظر الحاج محمد إلى الخلف أحد يناديه : فرأى ذاك المخبول يهرول مسرعاً ناحيته فقال في نفسه : استر يا رب .. هيوديني في داهية دلوقتي أهو !!

أسرع الحاج محمد في خطواته حتى لا يلحق به هذا المخبول ولكن بلا فائدة .. لأنك وبكل بساطة لن تغلب من عرف بين الناس بالجنون .

اقترب المخبول أكثر من الحاج محمد : ثم همس في أذنه بكلمات لم يسمعها صاحبيه وقال له : أنت لها .. أنت لها .

وصل الجمع الغفير إلى دوار العمدة استقبلهم شيخ الخفر .. وبدأ الخفر يفتشون الناس واحداً تلو الأخر ثم أجلسوهم, أصحاب الأملاك ورؤوس العائلات كانوا يجلسون في الصفوف الأمامية .. عامة الناس كانوا يجلسون في أواخر الصفوف .. أما البقة فكان بعضهم واقفاً وبعضهم اتخذ من الأرض مجلساً !! التف الخفر وأحاطوا بالجميع من كل ناحية .. وبدأوا في إطلاق النار تمهيداً لنزول سيد الدار .

عم الصمت المكان, الكل يسمع صوت عصا العمدة على درج السلم .. نزل العمدة وعن يمينه ولده الأكبر سعيد وشيخ البلد .. أما الأصغر عن يساره وإلى جواره شيخ الخفر, وقف الجميع في حضرته, البعض وقف خوفاً, وبعضهم وقف مجاملة وأخرون وقفوا احتراماً ليس إلا !!

جلس العمدة وولداه أولاً .. ثم جلس شيخ البلد وشيخ الخفر, ثم أُذن للجمع الغفير أن اجلسوا .

وجه العمدة كلامه للحاضرين : طبعاً أنا نبهت عليكم أكتر من مرة ال مدفعش الضرايب ال عليه .. أرضه هتتاخد وتتباع في المزاد ولو مكفتش تمن الضرايب .. بيته هيتباع هو كمان .. دا حق الدولة عليكم وهتدفعوا يعني هتدفعوا .. واليوم التأخير بأسبوع حبس في المديرية .. صح يا رجالة مش ده ال اتفقنا عليه ؟!

الكل في صوت واحد : صح يا حضرة العمدة .

العمدة موجهاً كلامه لشيخ البلد : أمال مين ال مدفعش يا شيخ البلد ؟!

- شيخ البلد : في خمس فلاحين لسه مدفعوش الضرايب يا حضرة العمدة .
- العمدة : جميل .. مين دول بقا .

- شيخ البلد : سعيد بن محروس الطويل .. وخالد بن الحاج سيد أبو المكارم .. وجمال بن عباس أبو سعدة .. وتحية مرات عوض النجار .. وفوزية بنت الحاج عرفات .
- العمدة : فين سعيد بن محروس الطويل ؟!
- شيخ المسجد : وهو يصلي معانا العصر أغمى عليه ووقع في المسجد فحمله النَّاس وأخذوه للحكيم .. لكن يا حضرة العمدة هذا لا يمنع أن يوقع عليه العقاب .. فهو مكلف ولا زال حياً .
- الحاج محمد : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها يا حضرة العمدة .
- شيخ الخفر : مين ال بيتكلم ؟!
- وقف الحاج محمد وقال : مش أنا ال بقول .. ده ربنا ال بيقول كدا في كتابه .. ولا أيه يا شيخ علي؟!

صمت الشيخ علي وكأنه لم تمر عليه هذه الآية القرآنية من قبل !!

العمدة موجهاً للحاج محمد : يا محمد ومين قال إننا بنكلفه فوق طاقته .. هو أنا باخد الفوس ده ليا, ده فلوس الدولة .. وده القانون ال بيطبق عليا وعليك وعلى النَّاس كلها .. وبعدين ما أنا اديته فرصة أسبوع يصرف نفسه .

- الحاج محمد : وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة .. وبعدين يا حضرة العمدة هو طول عمره بيدفع ومفيش ولا مرة قبل كدا حاول إنه يتهرب من الدفع .. بس ظروفه مش مساعداه .. أيه المانع إننا نقف معاه ونساعده وناخد بإيده بدل ما نسجنه ونبيع أرضه .. ده مش العدل يا حضرة العمدة !!
- الجميع في حسرة .. أيه أنت بتقوله ده يا أبو إبراهيم ؟! أنت راجل كبير وميصحش أنك تقول كدا .. ولا إنك تكلم العمدة بالطريقة ده .
- العمدة : وأيه كمان يا محمد .. قول كل ال نفسك فيه ؟!

الحاج محمد وقف صامتاً !! النَّاس في ذهول وحيرة من أمرهم, الكثير منهم أقر بخطأ الحاج محمد, وفرقة قليلة التزموا الصمت, العمدة استشاط غضباً واحمر وجهه وبدت أنيابه .. وصاح قائلاً : بقا أن ظالم يا محمد .. طيب شوف العدل بقا .. الضرايب ال على سعيد بن محروس انت ال هتدفعها .. واجب عليك أنك تساعده بردو ما هو جارك والنبي وصى على سابع جار .. ولا أيه يا شيخ علي ؟!

- الشيخ علي : الحق ما قلت يا جناب العمدة .. فأنت عن كل خطأ منزه .
- العمدة : ومش بس كدا يا محمد بما إنك بقا بتتكلم عن المساعدة وتعاونوا على البر والتقوى .. أنت الملزوم أنك تدفع ضرايب خالد بن سيد أبو المكارم .. أهو ابن أخوك وغلبان وعنده عيال, واجب عليك تسد معاه .. وأنا هطلع جدع معاك يا محمد وهعطيك مهلة يومين اتنين .. لو فلوس الضرايب ده انت مجبتهاش وجيت يوم الخميس أخر النهار .. تاني يوم بعد صلاة الجمعة هنطلع من المسجد على أرضك وهبيعهالك بالمزاد .

العمدة موجهاً كلامه لشيخ الخفر : بالنسبة التلاتة ال لسه مدفعوش الضرايب يا شيخ الخفر تنبه عليهم النهاردا أخر معاد يوم الخميس .. فلوسهم تكون موجودة علشان نوردها للحكومة .. يا إما نخلص في أرض محمد أبو المكارم ونطلع على أرضهم !!

- شيخ الخفر : ال تؤمر بيه يا حضرة العمدة يتنفذ على طول .

العمدة موجه كلامه لجميع الحاضرين : كدا خلصنا موضوع الضرايب .. نتكلم بقا في المهم وال أنا بعتلكم مخصوص علشان تيجوا تسمعوه وتنفذوه بالحرف الواحد .

- الجميع : اتفضل يا حضرة العمدة .

- العمدة : إن طبعاً كلكم عارفين انتخابات مجلس النواب لسه عليها شهر وعلوان باشا مرشح حزب الوفد عن الدايرة بتاعتنا كلمني وطلب مني إننا نقف جنبه ونعطيله أصوتنا وأنا وعدته .. وقلتله خلاص اعتبر(كفر النور) كلها معاك .. فعايزكم يوم الانتخابات كل واحد يطلع هو وأهل بيته ويعطوا صوتهم له .. وال مبيعرفش يكتب يعمل على رمز الهلال .

العمدة وقد علا صوته : وطبعاً محدش يفكر إن ده رجاء ده أمر وواجب التنفيذ .. وال هيخالف الكلام هيتحاسب .. خلاص يا رجالة !!

- عويس أفندي : خلاص يا عمدة احنا منقدرش نكسر لحضرتك طلب, ولا احنا يعني هنعرف مصلحتنا أكتر منك .

وما أن انتهى العمدة من كلامه حتى بدأت الهتافات تتعالى " بالروح بالدم نفديك يا علوان " الحاج محمد وقد احمر وجهه غضباً رفع يده وقال : ممكن كلمة يا عمدة لو سمحت ؟!

شيخ الخفر موجهاً كلامه للحاج محمد : عايز أيه يا محمد .. أنت شكلك كده ناوي تبات عندي الليلة في الحجز !!

- شيخ البلد : اقعد يا حاج محمد .. اقعد زيك زي الناس .. محدش اتكلم غيرك يعني .. وبعدين عاوز تقول أيه ؟! أنت كلامك ماسخ أصلاً .

وهنا بدأ بعض الخفر في الهجوم على الحاج محمد وقالوا له : اقعد هو فيه حد يناقش العمدة .. هو انت هتعرف مصلحتك ومصلحة البلد أكتر من جناب العمدة .

رفع العمدة يده وأشار للخفر أن اتركوه يتحدث .. دعونا نسمع ما لديه .. هاا عاوز تقول أيه يا محمد ؟؟

- الحاج محمد : يا عمدة علوان باشا ده النائب بتاعنا من تلات دورات فاتوا ولا عمرنا شوفناه ولا شافنا .. وبننتخبه كل مرة وبينجح ومنعرفش حتى شكله أيه ؟!

بعض الحضور وقد تعالت أصواتهم : اه والله فعلاً احنا عمرنا ما شوفناه .

- شيخ الخفر : انت اتجننت ولا أيه ؟! انت بتشكك في نزاهة الراجل وعايز تكسر كلام العمدة تطلع أيه انت بسلامتك ؟؟
- عويس أفندي : أكيد قابض من المرشح التاني .. وعاوز يعمل بلبلة في دماغ الناس علشان متنتخبش علوان باشا

هنا جاء الدور على شيخ المسجد ليقول كلمته : استهدى بالله يا أبا إبراهيم .. وبعدين ال احنا نعرفه أحسن من ال منعرفهوش .. هو احنا لسه هنجرب غيره ؟!

صمت الكل وانخرست ألسنتهم حين قال الحاج محمد ورفع يده : يا عمدة نحن لسنا نعاجاً نُسَاق !!

طال صمت العمدة هذه المرة يبدو أنه الهدوء الذي يسبق العاصفة ثم أخرج مسدسه من جيبه وأطلق رصاصة دوى صوتها في أنحاء الكفر .. في الوقت الذي لطمت فيه جلالة على خدها وانهمرت دموعها ونادت على ولدها : يا إبراهيم الحق أبوك يا إبراهيم !! ربَّما كان قلبها مع زوجها وبالها مشغول به ويفكر فيه .

عمَّ الصمت المكان .. وقف العمدة وابتسم وقال : أنا مش هسألك مين ال وراك .. ومين ال قالك الكلام ده ؟! مليزمنيش أعرف .

- العمدة للجميع : علوان باشا بينا ناجح ومن غيرنا ناجح
- العمدة للحاج محمد : استهدي بالله علشان انت عارف رد فعلي هيكون أيه .. أرضك محتاجه كيماوي .. ومواشيك بتبات في الدوار ال في الغيط لواحدها .. وبيتك كله من القش !!

العمدة وقد على صوته وبلهجة التهديد قال : علوان باشا كلمني .. والـمأمور بنفسه اتصل عليَّ وقال لي : تقفوا جنب علوان باشا وأنا وعدتهم .. وكلمتي سيف عليكم واحد واحد .. ثم انتم عاوزين أيه من علوان باشا ؟! انتم عايشين كويس .. وبتاكلوا وبتشربوا وعندكم مُرشح مايه في الكفر .. وكمـان علوان باشا واعدني إنه هيبني مدرسة ابتدائي في العمودية بعد ما ينجح .

وبعدين يا محمد هو أنت ناسي إني دفعت 30 جنية لابنك علشان ياخد اعفى من الجيش .. راجع نفسك وبلاش تعاندني .

- شيخ البلد : يا جناب العمدة الحاج محمد راجل عاقل وهيوزن الأمور وهيرجع عن ال في دماغه .. وهو بنفسه أول واحد هيروح الانتخابات علشان يعطي صوته لكبيرنا علون باشا أبو الدهب .
- شيخ الـمسجد : يا حاج محمد أنت هكذا ترتكب إثمـاً كبيراً .. واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .. وهذا ليس بكلامي بل كلام ربنا .. والعمدة ولي أمرنا وطاعته واجب علينا كلنا .. ولا انت عاوز تخالف القرآن والشرع وتموت كافراً ؟!

الحاج وهدان أجلس الحاج محمد وهمس في أذنه قائلاً : اقعد يا أبو إبراهيم أنت عارف إن العمدة شرَّاني وبيحب الأذية .. بلاش تعاند قصاده وسيب الأمر لصاحب الأمر يدبره كيف يشاء .

اقتنع الحاج محمد بكلام صاحبه ورفيق دربه .. وفي الوقت نفسه وصل إبراهيم دوار العمدة وعينه تبحث عن أبيه .. فرأه شيخ الخفر وهمس في أذن العمدة وقال له : ال واقف هناك ده ابن محمد أبو الـمكارم .

استغل العمدة الـموقف ونادى على إبراهيم : تعالى يا إبراهيم شوف أبوك بيقول أيه ؟ مش ده ابنك الكبير بردو يا حاج محمد ؟!

توتر الحاج محمد وأصابته الدهشة والحيرة .. لـمـاذا أتى ؟! أخبرتهم ألا يأتي أحد إلى هنا .. لكن لا فائدة الآن !

- الحاج محمد : أيوه يا عمدة .. ده ابنك الصغير !!
- العمدة : يا إبراهيم اتكلم مع أبوك وخليه يرجع عن ال في دماغه .. علشان ال هو بيعمله ده غلط .. وغلط كبير .. وهو كدا هيضركم كلكم .. وانت بنتك كبرت وعلى وش جواز ومحتاجه جدها وأبوها يوقفوا في فرحها ولا أيه يا أبو إبراهيم ؟!

قرأ الحاج محمد رسالة العمدة وفهم ما يدور برأسه .. فقام على الفور وقال : خلاص يا حضرة العمدة ال انت شايفه .. أنا كنت بقول مجرد رأي .. ولكن طبعا طالـمـا حضرتك اعطيت علوان باشا وعد خلاص منقدرش نخرج على رأيك .

صحيح أن الجمع قد انفض وعاد كل واحد من حيث أتي .. ولكن الشيطان لم ينصرف بعد .. فلقد اشتعلت النار أكثر وأكثر بعد أن ذهب الجميع .. يبدو أن كلام الحاج محمد ما زال عالقاً في ذهن العمدة خاصة حين أشار بيده وقال له : يا عمدة نحن لسنا نعاجاً نُسَاق !!

ذهب الكل .. لكن بقى العمدة وولداه برفقتهم الشيوخ الثلاث .. ستة كان الشيطان سابعهم .. العمدة كاد ينفجر من شدة الغيظ .. كيف لأحدهم أن يخالفه في رأي .. بل كيف له أن يناقشه فيه أصلاً ؟؟

كانت التربة خصبة وصالحة لكثير من الوسوسة والتحريض .. تلك الفرصة التي استغلها الشيوخ الثلاث وبدأ حديثهم مع العمدة

وكان الفتيل الأول في إشعال نار الفتنة من نصيب شيخ المسجد الذي وجه كلامه للعمدة قائلاً : لا يا عمدة لا .. السكوت على هذا الأمر فيه معصية كبيرة كون فيها شقاً لعصا الجماعة وتفريق أهل العمودية .. ودعوتهم للوقوف ضدك .. وتحريضهم للخروج عليك !!

فرد شيخ البلد : يكونش الحاج محمد عايز يترشح .. ولا يكون مدفوع من ناس تابعين للمرشح التاني ؟! ما هو احنا عارفين من زمان إن الحاج محمد له أفكار غريبة وحتى دايماً بيعترض على إمامة الشيخ علي وخطبة الجمعة .

وهنا جاء دور الشيخ الثالث شيخ الخفر .. ليرد قائلاً : لو أذنت لي يا عمدة الراجل ده يجب تأديبه أهو ده ال كان ناقص .. ده إنسان قليل الذوق يعترض ازاي على حضرتك ويناقشك .. ميعرفش إن جنابك رمز للعمودية بأكملها .. وكلمتك قانون واجب التنفيذ !!

وأتبع شيخ الخفر كلامه قائلاً : الحاج محمد أكيد قابض قرشين .. أو المرشح التاني عامله من رجالته ووعده يأجر له فدانين يزرع فيهم أ و يمسك ابنه نظارة أرضه .

وبعد أن انتهى كلام شيخ الخفر .. أتى دور شيخ المسجد مجدداً ليقول : الحاج محمد من ساعة ما اشترى بغلة وسراج له .. واشترى جلابيه صوف وبيسرح الغيط ومعاه الشمسية .. وأنا قلت إنه وراه حاجة كبيرة أو ناوي على حاجة .. وأنا ياما حذرتك منه يا عمدة ولكن انت ال مكنتش بتسمع كلامي أصل قلبك طيب !!

ضحك الجميع .. ولكن قرار العمدة أسكتهم .. أو قل أنه من شدة الفرح أسكتهم

- العمدة : يا شيخ الخفر أنا عايزك تقرص ودنه ولكن قرصة بسيطة المرة دي .. وأنا لا شوفت ولا سمعت .

- شيخ المسجد : ما ستفعله معه يا شيخ الخفر ليس فيه إثم .. بل تُثاب عليه لأنك تحافظ على أهل القرية وترابطهم وتؤكد على احترام رمز العمودية .. وعدم الخروج عليه .. فهو ولي أمرنا وسر نعمتنا وطاعته واجب شرعي .
- شيخ الخفر : طلباتك أوامر يا حضرة جناب العمدة

وعلى الجانب الأخر, كان البسطاء يلتفون حول الحاج محمد ويؤيدون قوله ووجهة نظره ويقولون له : والله انت عندك حق يا حاج محمد .. العمدة عاوز يصادر رأينا ويكون الكلام له لواحده .. برافو عليك انت قلت ال كان نفسنا نقوله ولكن مش قادرين .

فرد صديقه الحاج إصلاح وقال له : أنا عايزك يا أبو إبراهيم تاخد بالك من زراعتك ومن أرضك وبيتك ومواشيك اليومين دول وربنا يسترها ويعديها على خير .

وأتبع الحاج وهدان وأكد على كلام الحاج إصلاح وقال : انت عارف يا أبو إبراهيم إن العمدة صعب .. ومبيخفش من ربنا لا هو ولا الرجالة بتاعته .

فرد الحاج إصلاح وقال : وال أخطر منه الضلالي شيخ المسجد .. ال دايماً بيزين له سوء عمله وبيحلل له الحرام .

أما الحاج عرفات قال : لا والراجل شيخ الخفر لا ضمير ولا دين ولا بيخاف من ربنا ربنا يكفينا ويكفيك شرهم .

الحاج محمد التزم الصمت ولم يرد على أحد منهم .. فقد فوض لله أمره .. وهو موقن تمام اليقين أنَّ ربَّ الخير لا ولن يأتي إلا بكل خير .. حتى وإن بدى ذلك لبعض النَّاس أنَّه شر !!

ولـمَّا دخل البيت كان في قمة الهدوء كثير الاستغفار والتسبيح .. دخل البيت وصلى الـمغرب ولم يخبر أحداً من أهل البيت بمـا حدث معه .. ولكنَّ ابنه إبراهيم كان قد سبقه إلى البيت .. وأخبر أمه وزوجة أبيه وأخوته بمـا حدث .. وأخبرهم أيضاً بمـا قاله العمدة وشيوخه !!

ولـمَّـا انتهى من صلاته .. رأى التوتر والخوف والقلق قد حل بأهل بيته كبيرهم قبل صغيرهم .. فتاريخ العمدة المليء بالدم والخراب يعرفه القاصي والداني .. صحيح أنَّه يعلم أنَّ العمدة لن يهدأ له بال إلا إذا انتقم منه .. لكن لم يكن بطل قصتنا يخاف على حياته .. فهو قد قارب على الخمسين وربَّمـا حان وقت الرحيل .. لكنَّ قلبه كان ينفطر خوفاً وقلقاً على أولاده وأحفاده خشية أن يصيبهم غضب وجبروت الظالم !! ومع ذلك الخوف لم يتكلم .. فقط كان يسبح ويختتم صلاته .

فنادته زوجته جلالة وقالت له : مفيش مواشي تفضل في الغيط .. لازم نبيتهم في البيت .. وولادك يباتوا في دوار الغيط بسلاحهم اليومين ال جايين .. لعند ما نطلع زرعنا ونجيبها عندنا البيت .وما زال بطلنا صامد لم يعبر بعد عن مكنون نفسه !!

زوجته الأخرى قالت : يا أخويا انت عارف إن شيخ الخفر راجل ضلالي وميعرفش ربنا .. وممكن العمدة يسلطوا علينا يحرق الأرض أو يولعلنا في البيت !! احنا لازم نسهر طول الليل في بيتنا نحرسه ونحرس مواشينا وأرضنا .

جلالة توجه كلامها بحدة لزوجها الصامت الذي يبتسم : انت ليه اعترضت على كلام العمدة يا حاج محمد ماكنت تسكت زي ال ساكتين .. ولكن أعمل أيه فيك مبتعرفش تسكت على الغلط أبداً ومبيعجبكش الحال الـمـايل .. وده ال بيجيب لنا الـمصايب والـمشاكل .

- إبراهيم يرد على أمه : أبويا صح .. وال عمله ده هو الصح .. وأنا لو مكانه هعمل كدا بردو .. أبويا دايمـاً كان بيقولنا وبيربينا على إن الساكت عن الحق شيطان أخرس .. وأبويا مينفعش يربينا على كدا .. وبعدين يشوف الغلط ويسكت زيه زي النَّاس .

قام الحاج محمد من على سجادته وقال لهم جميعاً : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .. وال ربنا مقدره هو ال هيكون .. أبويا الله يرحمه كان دايمـاً يقول لي : يا محمد يا ولدي ال متكوب على الجبين لازم تشوفه العين .

- إبراهيم : كلامك صح يابا ولكن احنا هنعمل أيه ؟! هنستنى لحد ما يعملوا ال هما بيخططوله دلوقتي ؟!
- الحاج محمد : يا ولدي لو قدر ذلك عليك .. فلن يكون بوسعك رده عنك .. لكن على كل حال الحيطة والحذر يا ولدي خير وسائل الأمن الأمان .. ولكن لم يعد هناك وقت لجلب الـمواشي .. لذا اجمع إخوتك وقسموا أنفسكم .. بعضكم هنا والأخر هناك .. حتى إذا سمعتم الفجر فصلوا وعودوا بالـمواشي .

الانتقـــــام

في منتصف الليل جمع شيخ الخفر رجاله واختار من بينهم اثنين وجلس يحدثهم بعد أن انصرف البقية وأخبرهم بمـا قد عزم عليه العمدة .. ويبدو أنه بالفعل قد وجد رجله الـمناسب في الوقت والزمان الـمناسب .

- فقال لهم : أنا عاوز الأرض كلها تتحرق .. ولـمـا الناس تنشغل في الأرض تدخلوا تسرقوا الـمواشي ال في الدوار كلها وبعدين تولعوا فيه هو كمـان .. علشان يتعلم الأدب وهو بيتكلم مع جناب العمدة بعد كده .
- فقالوا في صوت واحد وبنبرة مليئة بالحقد والغل : ده حاجة بسيطة وسهلة .. مش عاوزينك تقلق خالص وتطمن جناب العمدة .. الليلة هيقعد يعيط هو وعياله زي النسوان .

وبعد منتصف الليل بساعتين, ذهبوا ملثمين ومعهم خمسون كورة من القمـاش مليئة بالبنزين .. ولـمـا اقتربوا من الأرض شاهدوا نار مشتعلة في الدور فعلموا أن الحاج محمد قد أرسل أولاده لحمـاية الأرض .. فضحكوا وأكملوا سيرهم .. ولـمـا وصلوا حيث أرادو اختبئوا .. وأخذ أحدهم يشعل النار في الكرة ويناولها لصاحبه الذي يقف ليلقي بها .. فلمـا اشتعلت النار الأرض فروا هاربين .

في نفس اللحظة شاهد إبراهيم النار تشتعل في الأرض فهبَّ واقفاً يصيح بصوت عال .. هبَّ الجميع يجري ..بدأوا في الاستغاثة بالناس .. قام أحدهم بتشغيل ماكينة الري

وناول أخيه الخراطيم .. بدأوا في اطفاء الحريق ومحاصرته .. تجمع بعض أهالي القرية يساعدوهم في اطفاء الحريق .

وحال انشغالهم في السيطرة على النيران .. دخل الاثنان إلى الدوار وقاموا بسرقة ما فيه من مواشي .. ولما ابتعدوا أشعل أحدهم كرة كان قد تركها وألقى بها على سطح الدوار الذي أكلته النار في أقل من عشر دقائق .

وفي هذه اللحظات بدأ بعض الأهالي يلسن على الشيخ العجوز الذي قد فجعه الخبر فأتى يهرول ولسان حاله يردد " حسبنا الله ونعم الوكيل " .

أحدهم يقول للأخر : ادي نهاية التفتيح .. يستاهل ما كان سُكت أفضل وحين اقترب منهم الحاج محمد تغير كلامهم .. وبدأوا يواسونه في مصيبته ويقولون له : ربنا معاك يا حاج محمد .. ربنا ينتقم منهم الظَّلمة .. أكيد ال عملوا كدا مش من البلد الناس هنا في بلدنا كلها بتحبكم جداً .. علشان مفيش بينكم وبين أي حد مشاكل .

الحاج محمد نبه على أولاده وأهل بيته عدم التعليق على كلام أي أحد .. ولما انتهوا من إطفاء الحريق عاد الجميع من حيث قد أتى .. عاد الحاج محمد إلى بيته ولسانه ما زال يردد ويقول : حسبنا الله ونعم الوكيل .

لم يتكلم حتى أذن الفجر, قام وتوضأ وصلى ركعتين ثم توجه إلى المسجد .. وأولاده يتبعونه .. وبعد صلاة الفجر جلس يردد أذكاره ثم انصرف .

وفي الصباح, حضر العمدة وبعض مشايخ القري وشيخ الخفر لكي يواسوا الحاج محمد .. خاطبه العمدة قائلاً : متقلقش خالص يا حاج محمد .. أنا كلفت شيخ الخفر بتتبع المجرمين ال عملوا كدا ولازم ياخدوا جزائهم ولن يمُر الأمر بسهولة .. واعطيت تعليماتي لكل الخفر بتتبع الجناة وأن يأتوني بهم .

هنا صاح هتاف الأهالي الذين تجمعوا عند بيت الحاج محمد وأخذوا يرددون بالروح بالدم نفديك يا عمدة .

أما شيخ الـمسجد فقال :أرأيت كيف نزل بك غضب الله ؟! هذا مجرد إنذار من الله لك حتى لا تتمـادى في غيك .. فارجع إلى ربك وتب إليه .. وتذكر أن طاعة أوامر جناب العمدة من طاعة الله .

وهنا التفت العمدة إلى أهالي القرية وقال لشيخ البلد : النهاردا تعمل حملة تبرعات لتعويض الحاج محمد عن كل الخساير ال حصلت له .

أبدى الحاج محمد اعتراضه .. فرد عليه شيخ الـمسجد :يبدو أنك لم تتعظ بعد يا أبا إبراهيم .. ألم يكفيك هذا البلاء الذي حل بك وبأهل بيتك ؟! تعارض جناب العمدة الذي ترك مقره لأجلك .. ليواسيك ويقدم يد العون والـمساعدة لك .. بدل أن تعارضه قم إلى يده وقبلها ..والله لولا أنه جنابه يحبك ما كلف خاطره لأجلك

- الحاج محمد : خلاص يا عمدة ال حضرة جنابك شايفه .. أنا معنديش أي اعتراض .. حضرتك كبيرنا ودايمـاً قلبك علينا وعلى مصلحتنا .

العمدة كلف شيخ الـمسجد وشيخ الخفر بمعاونة شيخ البلد في جمع التبرعات من أهالي القرية .. وهنا الكل بدأ يثني على العمدة وشهامته وحبه لأهل عُمديته .

وفي يوم الجمعة وقف شيخ الـمسجد خطيباً في الناس يتكلم عن دور العمدة في خدمة أهل العمودية .. وسهره على راحتهم ودوره في الوقوف بجوار الحاج محمد في محنته التي نزلت عليه, وقراره الحكيم الذي صدر صباح اليوم بتحمله سداد قيمة الضرائب الـمتبقية على الفلاحين من ماله الخاص بدلاً عن أصحابها إلى حين قدرتهم على السداد, ولـمـا انتهت الصلاة أخذ الشيوخ الثلاثة الـمـال الذي جمعوه من الأهالي الـمساكين, واعطوا الحاج محمد ربع الـمبلغ .. واحتفظوا لأنفسهم بثلاثة أرباعه دون أن يعلم بأمرهم أحد .

قبل الحاج محمد المبلغ على مضض .. لكنَّه قرر التبرع به .. فلما انصرف الشيوخ الثلاث .. أخذ الحاج محمد المبلغ وتوجه إلى العمدة وقال له : المبلغ ده خارج من ذمتي لأهل الخير ومينفعش أوزعه وعمدتنا وكبيرنا موجود, عاوز حضرتك توزعه بمعرفتك على المحتاجين .

- العمدة : اشمعنا أنا يعني يا حاج محمد .
- الحاج محمد : علشان ال ملوش كبير بيشتري له كبير .. ونحن الحمد لله ربنا اكرمنا بحضرتك عقل وحكمة وأمانة وبصيرة .
- العمدة : والله يا حاج محمد أنا كنت واخد عنك فكره مُش هي .. لكن ثبت لي عكسها منهم لله ال بينقلوا الصورة غلط .

استأذن الحاج محمد .. ولما وصل بيته سألته زوجته جلالة : عملت أيه مع العمدة الراجل ده أهم حاجة عنده الفلوس مع إن معاه شوية وشويات من النهب والإتاوات ال بيفرضها على الناس الغلابة .

- الحاج محمد : علشان كدا أنا سديت فمُه بالمبلغ ده .. وأنا عارف إنه مش هيوزع منه ولا مليم أحمر .

****

العمدة الجديد

في اليوم التالي كان الحاج محمد جالساً مع زوجتيه فإذا بالباب يطرق .. فنادى على حفيده وأمره بفتح الباب .. الحاج إصلاح ومعه الحاج وهدان .. هب الحاج محمد واقفاً وقال : يلا هلا .. يا هلا بالأحباب .. اتفضلوا .. والله شرفتونا .

- إصلاح : الشرف لينا يا أبو إبراهيم .
- الحاج محمد : فينك كدا يا عم انت وهو .. محدش شافكم من اليوم المشئوم ده .
- إصلاح : مفيش والله يا أبو إبراهيم .. كنت أنا والحاج وهدان في البندر .. انت عارف العيال ولادنا بيتعلموا هناك .. وخلاص كلها أيام والدراسة تبدأ تاني .. فروحنا نوصلهم ونجيب لهم ال محتاجينه .
- الحاج محمد : اه والله انت فكرتني .. الواد ابن إبراهيم وابن السيد عاوزين يسافوا طنطا علشان المعهد بتاعهم هيبدأ هو كمان .. كانوا المفروض يسافروا يوم الجمعة .. لكن ال حصل خلانا اتأخرنا .
- وهدان : احنا وصلنا عرفنا ال حصل .. والله حتى مغيرناش الهدوم .. قولنا لازم نجي نشوفك الأول نطمن عليك .. وكنا كمان عاوزينك في موضوع تاني .
- الحاج محمد : حصل خير .. ربنا لطف .. وعدت على خير .
- الجميع في صوت واحد : الحمد لله .
- الحاج محمد : خير يا حاج وهدان .. أيه الموضوع التاني ده ؟!

- إصلاح : خير يا أبو إبراهيم .. أنت طبعاً عارف إن حمدان إن الحاج وهدان خلاص هيخرج من الجيش كمـان أسبوع .. واحنا معاه في البندر قال لأبوه إنه وهو هنا الإجازة ال فاتت شاف بنت كانت على الـمرشح بتملي البلاص مايه .. فعجبته جداً لأدبها وكلامها باستحياء .. وسأل عليها فالناس قالت له إنها بنت ابنك ابراهيم .. وأنا قلت له خلاص يا حمدان لـمـا ننزل أنا وأبوك البلد هنروح لعمك الحاج محمد ونكلمه وناخد رأيه .. فانت أيه رأيك يا أبو إبراهيم ؟؟
- الحاج محمد : أولاً احنا لو لفينا الدنيا مش هنلاقي أفضل من بيتكم حسب ونسب يا أبو حمدان .. أسمـاء بنت ابني إبراهيم عندها 14 سنة وجلها أكتر من عريس وكانت بترفض وأنا كمـان مكنتش بوافق .. عامة أنا هاخد رأي أبوها لـمـا يرجع من الغيط ورأيها وأرد عليكم, ما هو الشرع قال كدا, أي نعم هي مش هترفض طالـمـا احنا موافقين ولكن ده من الحلال .
- الحاج وهدان : على بركة الله واحنا في انتظار الرد ولو فيه نصيب أول لـمـا يسلم جيشه ويطلع إن شاء الله على خير نقعد سوا ونحدد الـميعاد .
- الحاج محمد : على بركة الله .

وفي الوقت ذاته كانت أسمـاء بتغسل الـمواعين على الترعة وراجعه .. ولـمـا سمعت الكلام وشها احمر واتكعبلت في رجلها وكانت هتقع على الأرض .. ودخلت جري .

في اليوم التالي عرض الحاج محمد الأمر على ابنه ابراهيم الذي لم تحدثه نفسه ألبته في مخالفة رأي أبيه وقال : وهو أنا لي رأي بعد رأيك يابا ال انت شايفه يمشي .

- الحاج محمد : الجواز حصن للبنت وستره لها يا إبراهيم يا ابني .. تعرف أنا متجوز الحاجة أمك وهي عندها 12 سنة .. قوم ادخل اقعد مع بنتك ومراتك وعرفهم وخد رأيهم .
- إبراهيم : اعتقد يابا إنها اصلاً متعرفهوش ولكن مع ذلك هسألها .

إبراهيم دخل على مراته وقالها : أمال فين عروستنا الحلوة ؟! انتي فين يا عروسة ؟! البنت اتكسفت ومردتش وخدت نفسها وطلعت جري على ستها جلالة .

- إبراهيم : أيه رأيك يا أم أسمـاء ؟!
- حسنات : ال انت شايفه يا إبراهيم انت وأبويا الحاج .. هو أنا لي كلام بعد ال حصل مني قبل كدا واتشديت من لساني وحصل ال حصل .
- الحاج محمد في صلاة العشا قابل الحاج وهدان والحاج إصلاح وقال لهم ألف مبروك مقدماً .. وإن شاء الله أول ما حمدان يوصل بالسلامة تشرفونا علشان نتفق .

وبعد أسبوع, وفي مساء يوم الجمعة أخذ وهدان أبناءه وزوجته وكان معهم الحاج إصلاح وتوجهوا إلى بيت الحاج محمد الذي كانت تملؤه الفرحة وتغمره السعادة .. وكان الحاج محمد وأولاده في انتظار الضيوف .. دخل الرجال في المضيفة .. بينمـا اجتمعت النساء مع العروس يصففن لها شعرها ويباركون لها .

وفي الداخل كان الحوار يدور بين الأهل والأصحاب .. الحاج وهدان : يا حاج محمد شبكة عروستنا الجميلة خمسة جنية .. وأنا ووهدان هنطلع بُكرة إن شاء الله نشتري سرير متنجد ودولاب أربعة ضلفة وكنبة خشب أبيض .. وحلتين نحاس وحلة كبيرة وطشت حموم وطشت للعجين .. وأربع معالق وغلاية للشاي وأربع كوبيات ومش هنخليه محتاج أي حاجة .

- الحاج محمد : على بركة الله .

علت الفرحة وعمت أرجاء المكان .. وكثرت الزراغيط بعد الاتفاق على كل شيء .. وحددوا نهاية الأسبوع المقبل موعداً لكتب الكتاب .. وفي اليوم المحدد كان الحاج محمد قد دعى العمدة وأعيان القرية لحضور حفل زفاف كريمة ابنه إبراهيم .. وطلب من العمدة أن يكون وكيلاً عن بنت ابنه في كتب كتابها وقال له : أنت كبيرنا وولي أمرنا كلنا ولابد تكون وكيلها .

موقف أصاب الجميع بالدهش والحيرة حتى شيخ المسجد الذي قال : أصبت يا أبا إبراهيم .. موقف جعل بعضهم يتسائل .. أيعقل ؟! الحاج محمد يعلم وكلنا يعلم أن الخراب الذي حل عليه كان بتدبير وأوامر العمدة ومع ذلك يقدمه على نفسه كوكيلاً في زواج أول أحفاده .. بدأ البعض يتراجع عن فكرة أن العمدة هو المدبر الأول للحريق .. بدأت الهمهمات .. الحاج محمد حط العمدة تحت باطة .. الحاج محمد ناوي يترشح للمشيخة, الحاج محمد وولاده هم ال ولعوا في القمح بتاعهم, وكمان سرقوا المواشي بتاعتهم الموضوع كبير بجد, ال يشوف الحاج محمد وهو بيتكلم مع العمدة من كام أسبوع ميشفهوش النهاردا .

وبعد أن انتهى الفرح .. كانت انتخابات مجلس النواب في مطلع الأسبوع التالي .

- جلالة : الانتخابات قربت يا حاج مش هتعرفني انت ناوي تعمل أيه ؟! خصوصاً إن علاقتك بالعمدة بقت كويسة جداً الفترة ال فاتت .
- الحاج محمد : أنا بفكر في حاجة كدا ناوي أعملها .. بس مش هقول لحد عليها إلا في الوقت المناسب .. كل ال عاوزه منك يا حاجة إنك تدعي إن ربنا يوفقني فيها .
- جلالة : ما دمت تبغي بها وجه الله فربنا معاك ويوفقك .

خرج الحاج محمد ونادى على أولاده وقالهم تعالوا نتمشى شوية عند الأرض علشان عاوزكم في موضوع مهم .. خرج الجميع متوجهين إلى الأرض وفي الطريق قال لهم أبوهم : طبعاً كلكم عارفين إن انتخابات المجلس قربت وكمان عارفين ال حصل لنا وال العمدة عمله فينا هو ورجالته علشان حاولت أعبر عن رأيي بحرية .

- إبراهيم : طبعاً عارفين .. والناس كلها لحد امبارح كانوا متأكدين إننا هنقف ضد علوان باشا في الانتخابات .. لكن لما انت خليت العمدة وكيل أسماء في كتب الكتاب .. سمعت كلام كده من الناس ال كانت موجودة .
- الحاج محمد : بص يا إبراهيم ميلزمنيش الناس تقول أيه .. حاجة واحدة بس هيا ال تلزمني .. حقي وحقكم عند العمدة .. ولازم ناخد حقنا منه .
- السيد : وهناخد حقنا منه ازاي يابا ؟!
- الحاج محمد : أخد الحق حرفه يا سيد .
- خميس : وانت ناوي تعمل أيه يابا ؟؟

- الحاج محمد : أنا عاوزكم يوم الانتخابات تقوموا بدري .. وكل واحد فيكم يروح لجنة غير التاني مهمتكم إنكم تدعوا لعلوان باشا علناً, ومش بس كدا مطلوب منكم كمـان تطلعوا الناس كلها من البيوت, والناس الكبيرة في السن تجيبولهم عربيات كارو .. وتوصلوهم لحد الجان وتعرفوهم يعطوا صوتهم لعلوان باشا .. وال مبيعرفش يقرأ يعمل صح على رمز الهلال .
- إبراهيم : حاضر .. كل ال قلت عليه هيتنفذ بالحرف الواحد .

وبعد أن عاد الحاج محمد وأولاده .. طلب من زوجتيه وزوجات أولاده الاستعداد للقيام بعمل موائد طعام لأعضاء اللجان وتوزيعه عليهم في أول أيام الانتخابات .

بعد أسبوع .. وفي صباح يوم الانتخابات بدأ الجميع في تنفيذ طلبات الحاج محمد .. النساء في البيوت والرجال في لجان الانتخابات .. الحاج محمد وأحفاده يقوموا بنقل الطعام على العربات وتوصيلها إلى مقر الانتخابات .. المجهود ذاع صيته وانتشر في أنحاء العمودية والقرى المجاورة .. بل نقلته الرياح والعصافير إلى علوان باشا المقيم في البندر الذي سارع بالسفر إلى (كفر النور) لتقديم الشكر للحاج محمد وأولاده .. الحديث ملأ أرجاء العمودية بالكامل .. الكل أصبح يتحدث عما قام به الحاج محمد وأولاده .. ولم يكتفي الأمر عند هذا الحد, بل قام الحاج محمد باصطحاب عِجل جاموس كبير ووقف به أمام لجنة الفرز .. وبعد ظهور النتيجة وإعلان فوز علوان باشا وفور خروجه من لجنة الفرز قام بذبح العجل تحت رجليه .

وقال لعلوان باشا : ده أقل شيء يمكن أن نقدمه لك تعبيراً عن فرحتنا بالفوز .. وقام بتوزيع لحمه على أهل القرية بالكامل .

وبعد أن انتهت مراسم الاحتفال بفوز علوان باشا واستلام كارنية العضوية وحلفه اليمين .. بدأ يفكر في أمر الحاج محمد وقال لنفسه : لمـاذا لا يكون الحاج محمد الرجل الذي اعتمد عليه في الدائرة ؟! راجل بيفهم وشهم وابن بلد .. وعلى الفور قام بإرسال أحد رجاله إلى (كفر النور) حيث يقيم الحاج محمد وأولاده .. ليقدم له الشكر على الـمجهود الكبير الذي بذله هو وجميع أولاده .. وأنه لن ينسى له هذا الـمعروف طيلة حياته .. ولأن الشكر بالكلام وحده لن يكفي فقد عزم أمره على القدوم إلى الكفر مرة أخرى خلال أيام ليقدم له الشكر بنفسه .

وفي عصر يوم الخميس كان علون باشا قد وصل إلى بيت الحاج محمد وقدم له بنفسه خالص شكره وتقديره على ما بذله من جهد في الحصول على أصوات أهل القرية بالكامل .. الأمر الذي لم يحدث من قبل ولو مرة .. وأنه لولا مجهودكم لـمـا كان الفوز حليفي هذه الجولة .

- الحاج محمد : هذا أقل شيء يمكن أن نقدمه لك معالي النائب .
- علوان باشا : يا حاج محمد أنا قررت تعيين ابنك الأكبر إبراهيم ناظر العزبة الخاصة بي وكمـان هيكون هو الـمسئول عن كافة أطياني الزراعية .. وبالنسبة لك فأقل ما أقدمه لك هو أني كنت في مقابلة مع السيد وزير الداخلية ووافق على تعينك عمدة القرية بدلاً عن العمدة الحالي .
- الحاج محمد : ميصحش يا علوان باشا العمدة الـموجود رجل طيب وبيحبك جداً .
- علوان باشا : يا حاج محمد دا انت ال راجل طيب والله العمدة بيحبني اه بس علشان مصلحته .. وبعدين يا راجل يا طيب مش العمدة ده بردو هو ال سلط عليك رجالته علشان يحرقوا أرضك ويسرقوا الدوار بتاعك .. كل أخبار الكفر عندي .. أنت خلاص بقيت العمدة الرسمي والسيد الوزير مضى على القرار خلاص .. أنت الرجل بتاعنا في الكفر .. نقدر نعتمد عليك في كل حاجة من هنا ورايح .

انتشر خبر تعيين الحاج محمد كعمدة في كافة أنحاء وأرجاء العمودية وقراها بسرعة البرق .. وما أن سمع به العمدة إلا وأصيب بجلطة افقدته الحركة والنطق .

وخلال ساعات كان قرار التعيين قد وصل مع السيد مأمور المركز الذي أصدر أوامره بنقل السلاحليك إلى بيت الحاج محمد العمدة الجديد ليتولوا حمايته ويكونوا طوع أمره ورهن إشارته, انهالت التهنئة من الأهالي بعد أن قدم مأمور المركز ونائبه ورئيس المباحث وناظر محطة القطار وناظر المدرسة .. وطبيب الوحدة ومعاون الجمعية الزراعية التهنئة .

علوان باشا أخبر رجال الشرطة بالمركز والمديرية بتقديم يد العون والمساعدة للعمدة الجديد وقال لهم : الحاج محمد يهمني أمره ويجب تقديم كل الخدمات له .

وبعد أن انصرف علوان باشا برفقة المأمور ونائبه .. قام الحاج محمد بذبح عِجلين للزوار من المهنئين ولأهل القرية وأعلن الرايات .. وصار الحاج محمد حديث الكل, وأصبح الكل يهابه ويخشاه .

وفي المساء أمر الحاج بجمع مشايخ القري والخفر وشيخ الخفر .. ونبه عليهم كل من استولى على شيء من أهالي العمودية وقراها بدون وجه حق عليه برده لأصحابه ثم اختتم حديثه قائلاً وقد علا صوته حتى احمر وجهه : لن أسمح لأحد منكم أن يظلم أو يتعدى على أحد دون وجه حق .. لا أريد أن أرى أو أسمع أن السلاحليك به أحد محجوز بدون وجه حق .

وعلى الفور قام بتفقد السلاحليك وأصدر أوامره بإطلاق سراح كل الموجودين فيه, وأخبرهم بأنه إذا ثبت له أن أحد فرض إتاوة على أحد الفلاحين أو استحصل منه على شيء باستغلال سلطته سيكون مصيره العزل والسجن .

وفي صباح اليوم التالي .. استدعى الحاج محمد جميع الأهالي وقال لهم : من له مظلمة فليقدمها لي .. ومن له حق عند أحد يخبرني به وسوف أبحث في أمره بنفسي, وإذا ثبت صحته سنعطيه له .. أي أرض أو مواشي أو مبالغ مالية قام العمدة السابق أو أحد من رجاله بالاستيلاء عليها سترد لأصحابها .. لن أسمح بانتهاك حُرمة البيوت .. لا بد أن نكون جميعاً يداً واحدة, نشارك بعضنا البعض في أفراحنا وأحزاننا .

دوى التصفيق وارتفعت الصيحات بعد كلام الحاج محمد .. التف الناس حوله .. وحملوه على أعناقهم وانطلقت مسيرتهم من أمام بيته حتى انتهى بهم المطاف إلى دوار العمودية .. وهناك طلب منهم الحاج محمد الوقوف .. ونزل وقال لهم : انتظروا .. هنا رجل له في أعناقنا دين قد حان وقت وفاءه .. دخل الحاج محمد الدوار .. العمدة جالس على أريكته قد انحنى ظهره ووضع يده على عصاه .. واتكأ عليهما برأسه .. وقف الحاج محمد وألقى سلام الله .. ولكن على ما يبدو أن العمدة السابق لم يسمعه .. فاقترب منه أكثر .. وأعاد عليه السلام, ولكن لا فائدة .. فجلس إلى جواره حيث كان لا يجرأ أحد قبل أن يجلس معه على أريكة واحدة .. ثم وضع يده على كتفه, وأخذ يطبطب عليه ثم استدعى أولاده وقال لهم : أبوكم سيظل كبيرنا .. لن استغني أبداً عن مشورته والأخذ برأيه .. وأنتم شأنكم شأن أولادي .. بيتي لكم مفتوح بالليل قبل النهار .

وقبل أن ينصرف اقترب من العمدة أكثر وقال له : جئتك اليوم لأمرين .. لك في ذمتي نصيحة .. ولى عنك طلب وفيك أمل .

فالتفت العمدة إليه قليلاً .. فقال الحاج محمد : يا عمدة طلبي بسيط جداً كلنا سيقابل وجهه رب كريم .. وأنت تعلم أني أحبك ولهذا لا أريد لك أن تقابل ربك وعليك مظلمة لأحد .. كلنا إلى زوال, أنت لن تأخذ شيء بعد وفاتك ولا حتى أنا .. فقط هي دعوات الناس إما لنا أو علينا .. تلك نصيحتي .. أما طلبي فراجع نفسك اليوم قبل الغد .. وبالنسبة لي فلا تقلق فأنا لله قد سامحتك .. ولـمـا انتهى الحاج محمد من حديثه قبل رأس العمدة وانصرف .

بدأ الحاج محمد يرسخ في أذهان الناس أصول ومبادئ العدل .. ليعلم كل واحد ما له من حق وما عليه من واجب .

وبعد صلاة العصر .. ذهب الحاج محمد بنفسه إلى شيخ الـمسجد .. وقال له : يا شيخنا أنا لا أحب النفاق, فقط أرجوك أن تتقي الله فينا, اتق الله في نفسك, في علمك وفي عملك, راجع خطبة الجمعة, ولا بد أن تقترب من حياة الناس وواقعهم ومشاكل أهالي العمودية ..لا بد أن تأخذ بأيدي الناس وتضعها على طريق الصواب .. يا شيخنا سئمنا من كلامك الـمرسل .. الناس تنام تحت منبرك, يسِّر على الناس في حديثك ولا تشق عليهم .. إن لم تفعل هذا فلست عندي من أهل الثقة .. وسأعزلك واختار غيرك .. ثم أليس عملك هو نشر تعاليم القرآن والسنة ؟!

شيخ الـمسجد وقد تصبب عرقاً : بلى .. بلى .

- الحاج محمد : من الغد تفتح الكُتَّاب تحفظ أطفال القرية القرآن الكريم وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام .. عليك تعليمهم أمور دينهم ما لهم وما عليهم .. ولك عندنا حسن الثواب وإلا فقد حكمت على نفسك بالعقاب .

في صبيحة اليوم التالي بدأ الحاج محمد بتشكيل لجنة لبحث المظالم وأسماء أصحاب الحقوق لاستردادها .. ضمت اللجنة بعض الأهالي المشهود لهم بالأمانة والنزاهة .. ولم يكن من بينهم أحد من مشايخ القرى أو الخفر بل حتى خلت اللجنة من شيخ الخفر وشيخ المسجد .. على أن تعقد اللجنة مساء كل ثلاثاء لبحث المظالم ووضع اقتراحاتهم نحو حلها .

كما اختار لجنة عرفت باسم لجنة الخبرة ضمت أصحاب الخبرات في جميع المجالات ليلجأ إليهم للمشورة قبل اتخاذ أي قرار .

كما كلف الحاج محمد طبيب الوحدة بعمل حملة تجوب أنحاء العمودية كلها لتوعية الأهالي بأهمية الاهتمام بصحتهم وصحة أولادهم .. وأن عليهم رفع جميع أكوام السباخ الموجودة بالشوارع وأمام منازلهم .. لعدم تعرضهم للأمراض .. وطلب منه اختيار ثلاثة شباب من أهل العمودية لتدريبهم على أعمال التومرجية لمساعدته في عمله واتخاذ الاجراءات الاسعافية لأي مريض في حالة انشغاله أو عدم تواجده .. وأن يعرض عليه تقرير بما يتم عمله وانجازه أولاً بأول .. كما كلفه الحاج محمد بتولي مهمة علاج العمدة السابق وأخبره أن علاجه لو احتاج إلى نقله إلى المركز أو المديرية فلا مانع .. كما أخبره أنه طلب من علوان باشا أن يتولى تكاليف علاجه وسفره إلى الخارج إن لزم الأمر .

وجاء الدور بعد الطبيب على ناظر المدرسة الذي طلب منه القيام بحصر جميع الأطفال الذين بلغوا سن السادسة وما فوقها والحاقهم جبرياً بالمدرسة .. وحمله مسئولية اختيار المدرسين الاكفاء .. ونصحه بعمل اختبارات ومسابقات للتلاميذ وتشجيعهم وصرف جوائز تحفيزيه للمتفوقين في حفل يقام بالمدرسة يحضره جميع أولياء الأمور .

كما أصدر أوامره بالتوسع في الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية .. وكذا فتح فصول لتعليم الكبار وتكون إلزامية بعد صلاة المغرب .

وطلب من معاون الجمعية الزراعية أن يعقد اجتماعاً كل أسبوع بعد صلاة الجمعة مع الفلاحين لبحث مشاكلهم الزراعية ومواعيد الزراعة وطرق الزراعة الصحيحة وتوفير التقاوي الجيد لهم وطريقة تسميد الأرض .

وناقش مع كبار القرى والأشراف تشكيل لجنة لبحث مستحقي الزكاة وتعهدهم بجمع الزكاة وتوزيعها على المستحقين .. وأشار بعضهم إلى ضرورة تخصص جزء من الزكاة لتزويج غير القادرين وغير القادرات.. وطلب من علوان باشا نائب الدائرة أن يخصص زكاة ماله وزكاة زرعه لأهل دائرته على أن تتولى توزيعها اللجنة المشكلة بذلك .. ووافق علوان باشا على ذلك .

الحاج محمد أصبح حديث المديرية كلها وليس حديث أهل عموديته أو المركز التابع له فحسب .. الحاج محمد لم يدخر جهداً في عمله .. بدأ يتفقد الأمن وحالة رعيته يومياً, ولكن حيدته وجدته وطهارة يده في العمل وقوة شخصيته ونفوذه بدأت تجعل المنتفعين وأصحاب المصالح الشخصية يتذمرون ويهمهمون ببعض الكلام فقد ضيق عليهم الخناق .

وذات يوم حمل الحاج محمد متاعه وخرج من بيته فسألته زوجته محاسن : على فين يا حضرة العمدة ؟؟

- الحاج محمد : عندي مشوار مهم جداً في البندر .. ولازم أخلصه النهاردا ضروري .. أنا في رقبتي حمل كبير جداً معرفش أسيبه واقعد في البيت .
- محاسن : ربنا يعينك ويكرمك .. وياخد بإيدك .
- الحاج محمد : اللهم آمين .
- محاسن : هو انت رايح لوحدك ولا أيه ؟؟ خد حد من الخفر معاك .
- الحاج محمد : مش مستاهله .. هو مشوار صد رد على طول .. وبعدين الخفر عندهم شغل كتير اليومين دول .
- محاسن : ماشي يا عمدة المهم خد بالك من نفسك .

خرج الحاج محمد بعد أن ارتدى جلبابه الجملي وعمـامته البيضاء وتوجه إلى بيت رفيقه الحاج إصلاح ونادى عليه : يا حاج إصلاح .. يا حاج إصلاح .

- إصلاح : مين ! حضرة جناب العمدة بذات نفسه .. خير يا حاج محمد .
- الحاج محمد : غير هدومك عاوزك في مشوار .
- إصلاح : على فين العزم إن شاء الله ؟؟
- الحاج محمد : في الطريق هقولك .. الـمهم بسرعة وحصلني عند بيت الحاج وهدان .
- إصلاح : وكمـان الحاج وهدان .. ده موضوع شكله كبير بقا .
- الحاج محمد : يلا يا أبو عبد الحميد .. بلاش تأخير .. القطار هيفوتنا .
- إصلاح : وكمـان فيها قطار .. طيب وراك أهو يا عمدة .

فقط نصف ساعة واجتمع شمل الرفاق عند محطة القطار, الحيرة تأكل رأس وهدان وإصلاح .. هو فيه أيه ؟؟

- الحاج محمد : متقلقوش احنا رايحين عند علوان باشا .

وهدان وإصلاح في صوت واحد : خير !!

- الحاج محمد : خير بإذن الله .. في الطريق هحكي لكم كل حاجة بالتفصيل .. بس يلا قوم انت وهو القطار داخل الـمحطة, وفي الطريق أخبر الحاج محمد رفيقه بكل شيء .
- إصلاح : أنت جبت الفكرة دي منين يا حاج محمد ؟؟
- الحاج محمد : أنا بفكر فيها من زمان جداً ..بس طبعاً أنتو عارفين الدنيا الأول كانت ماشية ازاي .
- وهدان : الخير هيكون على إيدك إن شاء الله يا أبو إبراهيم .

وبعد ساعة ونصف وصل القطار .. ونزل الرفاق واحدا تلو الأخر وتوجهوا إلى فيلا علوان باشا .. الذي كانت فرحته لا توصف بقدوم العمدة الجديد .. استقبلهم في مضيفته التي طالما قابل فيها الوزراء وكبار رجالات الدولة .

- علوان باشا : يا مرحب برجالة كفر النور .. والله البندر نور .
- الحاج محمد : البندر منور بنور معاليكم .
- علوان باشا : خير يا حاج محمد .. في مشاكل عندك في الكفر ولا أيه ؟!
- الحاج محمد : لا مشاكل أيه, ربنا يبعدها عننا ويبعدنا عنها .. الموضوع وما فيه؛ احنا عندنا في العمودية قطعة أرض ملك الأملاك وكنت عاوز من جنابك تخصصهلنا لأنشاء مصنع عليها .. أهل الدايرة والعمودية يشتغلوا فيه .
- علوان باشا : بسم الله ما شاء الله .. دا احنا بدأنا شغل جد بقا .. هو أنا معنديش أي مانع .. من بكرة أروح للوزير وأشتري الأرض من الأملاك ونطلع الترخيص .. بس ال أنا عاوز أعرفه مصنع أيه ال ممكن نعمله هناك يا عمدة ؟!
- الحاج محمد ايه: مصنع غزل ونسيج .. القطن موجود وال يطلع من الأرض نجيبه المصنع ولو احتجنا تاني نشتري القطن من العموديات ال جنبنا لحد ما نكفي المصنع .. والحمد لله القطن ال بنزرعه قطن طويل التيلة يعني من أجود الأصناف ال في العالم وكمان مضرب لضرب الأرز ومطحن .. ومعاليك طبعاً عارف إن بلدنا الحبيبة مصر من أول دول العالم في تصدير القطن والأرز .
- وأتبع الحاج محمد قائلاً : واحنا عندنا العمالة البشرية متوفرة وده لوحدها ثروة كبيرة لو أحسنا استخدمها صح, وبدل ما نصدر القطن بره برخص التراب ونرجع نشتريه مرة تانية بالعملة الصعبة ما نصنعه عندنا أفضل ونوفر فلوسنا ونحافظ على منتجاتنا ونشغل أولادنا, وكمان نبني مدرسة داخل المصنع تخرج لنا عمالة متدربة .

- علوان باشا : والله فكرة كويسة يا عمدة وإن شاء الله هبعت وكيل يتعاقد على شراء المكن ال هنحتاجه من بره .. وهجيب مهندسين وخبراء من الخارج لتركيبه وتدريب ولادنا عليه .
- الحاج محمد : على بركة الله يا معالي النائب ربنا يبارك في حضرتك .
- علوان باشا : من الصبح إن شاء الله .. هكلف مهندس يعمل الرسومات ويطلع التراخيص ونشتغل .. وهنعمل المصنع والمضرب والمدرسة كمان .

وهنا قرر الحاج محمد الاستئذان للعودة إلى العمودية .. لكن علوان باشا فاجأه وقال له : على فكرة أنا كنت جايلكم النهاردا .. ولكن طالما انتم جيتم يبقى نرجع الكفر سوا بس بعد الغدا بقا

وقبل العصر بقليل وصل الحاج محمد ورفيقه وعلوان باشا إلى الكفر .. وترجل الجميع من السيارة وركبوا الحنطور وتجولوا في أنحاء العمودية .. هنا وهناك وانتهى بهم المطاف إلى بيت الحاج محمد .. نزل الجميع ودخلوا إلى مضيفة الحاج محمد وقد أعدت جلالة لهم الشاي .. ولما هم علوان باشا بالانصراف قال : يا حضرة العمدة أنا عايزك تكلف حسن ابنك وحمدان ابن الحاج وهدان يتولوا الاشراف على المصنع والمضرب وييجيبوا معاهم ال يعاونهم .

وقبل أن ينتهي الحديث حضر إبراهيم ابن الحاج محمد المتولي شئون نظارة العزبة والأرض وقال لعلوان باشا : الحمد لله إن لحقتك قبل ما تمشي .

- علوان باشا : خير يا إبراهيم ؟!
- إبراهيم : أنا عايز مفاتيح المخازن علشان نخزن محصول الأرز والقطن ال طالع من الأرض لأن الجو شكله هيمطر وكمان نحاسب المزارعين .. وبسم الله ما شاء الله المحصول ضعف السنة ال فاتت .

- علوان باشا ضاحكاً : وهو ده وقت الحساب .. الصباح رباح .
- الحاج محمد : يا علوان بيه المزارع مالوش إلا اللقمة ال بياكلها والهدمة ال بيلبسها والكلمة الحلوة .. وتوفيه حقه يخلص وينتج كويس .. وانت والحمد لله مبتتأخرش عنهم في أي حاجة .. وكمان أن كنت كلمت حضرتك بخصوص موضوع الزكاة البلد فيها غلابة كتير ومستحقيين .
- علوان باشا : المحصول عندك يا حضرة العمدة .. أنا مش هلاقي حد أمين زيك وزي ولادك ال انت شايفه اعمله .
- الحاج محمد : طلب أخير بس ..أنا عارف أني تقلت على معاليك شوية في طلباتي .. أنا كنت عايز حضرتك واحنا بنوزع زكاة الزرع وبنحاسب الفلاحين تكون موجود وأنا هبعت الخفر يجمعوهم ويكونوا موجودين ونعمل لهم غدا علشان يدعولك ويعرفوا إنهم عايشين في خيرك ومن خيرك .
- علوان باشا : خلاص اشتري عجلين وادبحهم وهات طباخين واعمل لهم أكل وأنا هكون موجود إن شاء الله .
- إبراهيم : ربنا يبارك فيك يا باشا وما يحرمنا منك .. دا أنا نفسي تيجي تمر على الأرض وتشوف الزراعة شكلها يفرح والمساقي كلها متطهره والمصارف .. وأنا جددت السواقي وطهرنا الترعة علشان المياة توصل لنا .
- الحاج محمد : شهر رمضان لسه عنه أسبوع اعمل حسابك ليلة 27 ليلة القدر تقضيها أنت والست هانم والأولاد معانا في العمودية .. دي ليلة مباركة ولما تكون موجود وسطنا الفلاحين والغلابة هيدعولك دعوة حلوة ربنا يقبلها منهم الغلابة والمظلومين دعوتهم مستجابة علشان مفيش بينهم وبين ربنا حجاب وأنت أصلك طيب والباشا الكبير الله يرحمه كان فيه لله كتير .
- إصلاح : ويا ريت لو نعمل فطار جماعي في العمودية .

- علوان باشا : مفيش عندي أي مانع إن شاء الله أكون موجود أنا والهانم والولاد ونعمل الفطار ال الحاج إصلاح قال عليه .. بس ذكرني قبلها بيومين تلاتة يا عمدة علشان ممكن انسى أنت عارف المشاغل كتير وممكن أكون مسافر بره .
- الحاج محمد : خلاص إن شاء الله .

ولما خرج الجميع من المضيفة كان إبراهيم قد ملأ حقيبة السيارة بالكثير من خيرات الأرض وبعض الدجاج والديوك .. وبعد أن انصرف علوان باشا استأذن الرفيقين بالمغادرة .. وبعدها دخل العمدة مضيفته هو وابنه إبراهيم ونادى على الخفر بالخارج وقال لهم : عايزكم تجمعولي كبرات البلد في الدوار بعد صلاة المغرب علشان أنا عايزهم في كلمتين .

وبعد صلاة المغرب تجمع كبرات البلد وشيخ المسجد ومشايخ البلاد .

- الحاج محمد : كل سنة وانتم طيبين رمضان لسه عنه أسبوع وبعده العيد وانتم عارفين إن البلد فيها فقراء وأرامل .. وطبعاً عيب كبير في حقنا لما نفرح وولادنا تفرح وهم وولادهم لا .. عيب لما ناكل وهم يكونوا جعانين .
- أحدهم : وحضرتك شايف أيه يا جناب العمدة ؟؟
- الحاج محمد : أنا عندي اقتراح ويا ريت توافقوني عليه .. وال ميعجبهوش اقتراحي يقول ال عنده ربما يكون أفضل من ال بقوله .. الأمر شورى بينا وبين بعض .
- الجميع في نبرة صوت واحدة : القول قولك يا عمدة ال انت شايفه .. هو احنا هنعرف أكتر منك !!
- الحاج محمد : أهو ده الغلط ال بيزعلني أنا مش ملاك .. كلنا بشر وبنصيب وبنخطأ وعلشان كدا ربنا قال وأمرهم شورى بينهم .. وقال لسيدنا النبي وشاورهم في الأمر .. وسيدنا النبي علمنا أنه ما خاب من استشار .. مش كدا ولا أيه يا شيخ علي .
- شيخ المسجد : الحق ما نطق به لسانك جناب العمدة .

- الحاج محمد : أخويا الحاج إصلاح اقترح على علوان باشا إننا نعمل فطار جماعي في ليلة 27 .. فأيه رأيكم لما يكون الفطار جماعي طول شهر رمضان في المكان الفاضي ال ورا المسجد .. كل واحد يطلع الأكل ال طبخه على الصواني ونتجمع كلنا ونفطر ونصلي المغرب والعشا والتراويح وبعد كده كل واحد في البلد ياخد شيخ المسجد عنده يوم يقرأ القرآن علشان البيوت تستبارك .. ولا يكون عندي طول الشهر ونتجمع في الدوار بتاع العمودية .
- إصلاح : لا خليها في كل بيت يوم يا عمدة علشان البيوت تتملى بركة بالقرآن ولا حضرتك عاوز تاخد العمودية والخير والبركة معاهم كمان .

ضحك الجميع لكن عويس أفندي كان له رأي أخر وقال : عيب كدا يا حاج إصلاح لما تتكلم كدا في حضرة العمدة دي إهانة له ولنا .. العمدة رمز البلد ولازم نكون مؤدبين في الكلام في حضرته ونحسس على كلامنا .

- الحاج محمد : يا عويس أفندي عيب كلامك ده وبطل الخصلة الهباب بتاعتك دي انت مش ناوي تبطل مسح جوخ, الكلام ده بيزعلني ومعدتش اسمعه منك أو من غيرك, المهم حد عنده اعتراض .
- الكل في صوت واحد : لا .. يا عمدة .
- الحاج محمد : طيب قبل ما تتفرقوا فرصة واحنا متجمعين كدا نروح نزور العمدة السابق نجبر بخاطره ونطمن على صحته .. دا كان في يوم من الأيام عمدتنا وما زال عمدتنا .. جبران الخاطر كويس ربنا يجبر بخاطرنا كلنا .. وكمان سنجد ربنا عنده كدا ولا أيه يا شيخ علي ؟!

- شيخ المسجد : بلى بلى .. صدقت القول .. وسلم لسانك .. فأنت للخير أهل جناب العمدة .

خرج الجميع ملتفين حول الحاج محمد .. قاصدين دوار العمدة .. وفجأة تسمرت قدم الحاج محمد في الأرض لم يستطع مواصلة السير حاول أن يتأخر؛ لكن لا فائدة .. الحاج وهدان لاحظ توتر العمدة فاقترب منه وقال له : مالك يا أبو إبراهيم .. كنت من فترة تحاول الهرب منه والآن تحاول الوصول إليه .

- الحاج محمد : لازم أشوفه دلوقتي ضروري مش هتأخر
- وهدان : يا حاج محمد هتسيب الناس وتروح للمخبول ده
- الحاج محمد : لازم !
- وهدان : طيب أنا جاي معاك .

تأخر الاثنان حتى تقدمتهم الصفوف .. وتسللوا حيث يقف ذاك المخبول الذي ما زال يهز رأسه أفقياً يميناً ويساراً .

- الحاج محمد : مالك في أيه ؟!
- المخبول : خايف عليك يا عمدة .
- الحاج محمد : من أيه ؟!
- المخبول : مينفعش أقولك .. أنت لازم تواجه قدرك بنفسك .

وقبل أن يتكلم الحاج محمد ولى المجنون هارباً .. الحاج محمد أسرع هو وصديقه ليلحقا الناس ..وحينما وصلوا إلى دوار العمودية .. إذا بالنساء وقد علت أصواتهم بالصريخ والبكاء .. وقف الجميع مزهولاً .. نادى الحاج محمد على الخفير حميدة وقال له : فيه أيه يا واد يا حميدة ؟؟

- حميدة : البقاء لله العمدة تعيش أنت يا عمدة .
- الحاج محمد : لا حول ولا قوة إلا بالله .. إنا لله وإنا إليه راجعون .. ربنا يرحمه ويغفر له
- حميدة : كنت عاوز حاضرتك في كلمة على انفراد يا عمدة ضروري .
- الحاج محمد : وهو ده وقته ؟!
- حميدة : اه ده وقته لأن في ناس هنا بتتأمر عليك .

وقبل أن يتكلم الحاج محمد قال حميدة : أنا سمعت الشيخ علي شيخ المسجد امبارح وهو كان سهران هنا هو وشيخ البلد وشيخ الخفر وبيقول لولاد العمدة : حسبنا الله ونعم الوكيل فيمن كان سبباً لما حل بوالدكم من سوء ومكروه, الحاج محمد لا بارك الله فيه هو السبب في هذه المصائب حين تجرأ وأخذ العمودية وهي ليست له بحق .. فأصابت الحسرة أبوكم فمرض .

وشيخ البلد وشيخ الخفر صدقوا على كلامه .. وكمـان يا عمدة شيخ الخفر وشيخ البلد وشيخ الـمسجد كانوا بيتكلموا مع سعيد ومحسن ساعتها عن العمودية وبيقولوا الحاج محمد من يوم ما مسك وهو كاتم على نفسنا ومعدناش عارفين نعيش .. والفردة ال كان الأهالي بيدفعوهلنا أيام العمدة أبوكم منع الأهالي إنهم يستمروا في دفعها وهيبتنا راحت وطمع الأهالي فينا .. وكمـان وظف ولاده ال مسك ناظر عزبة وأطيان علوان باشا وال مسك أمور إنشاء الـمصنع والـمدرسة والـمضرب .. وانفرد بالكعكة لواحده وحاطط علوان باشه في جيبه .. لابد نشوف للموضوع ده حل .

وكمـان شيخ البلد قال : لازم سعيد يمسك العمودية بعد ما نتخلص من الحاج محمد بأي طريقه .. ازاي العمودية تطلع من بيتكم وهي كانت حق لكم أبوكم ربنا يشفيه واخدها عن أبوه عن جده .

الحاج محمد لم يُعر بالاً بمـا قيل له وقال لحميدة : تروح تشتري كفن من البندر وتيجي بسرعة .. وطلب من شيخ الخفر يطلع البندر يجيب فراشه لعمل مأتم .. وقال لشيخ الـمسجد يا شيخ علي روح جهز الـمدفن واستعد علشان تغسيل العمدة والصلاة عليه .. ثم أرسل خفيراً ليخبر علوان باشا بوفاة العمدة وطلب منه إرسال شيخ كبير لإحياء الـمأتم .

ثم نادي على سعيد ومحسن أولاد العمدة وأخذ بخاطرهم وقال لهم : أنا عاوزكم متشغلوش بالكم بأي حاجة وأنا ليا قاعدة معاكم بعد ما نخلص مراسم العزاء .

وفي اليوم التالي وأثناء توجه إلى الـمسجد رفقة الحاج إصلاح قص عليه ما قاله حميدة ثم قال له : أنا عاوزك تتأكدلي من صحة الخبر ده يا أبو عبد الحميد .. الأيام ال جايه ده ربنا يسترها وتعدي على خير .. وبالفعل أثبتت تحريات الحاج إصلاح صحة ما قاله حميدة .

وفي المساء توجه الحاج محمد إلى بيت شيخ المسجد وطلب منه أن يتحدث في خطبة الجمعة القادمة عن الغيبة والنميمة والمشي بين الناس بالوقيعة .

شيخ المسجد : الأمر أمرك جناب العمدة .. بمشيئة الله سيكون لك ما أردت .

وبعد صلاة الجمعة وقف الحاج محمد قائلاً : يا شيخ علي ما حضرتك بتتكلم كويس أهو عن الغيبة والنميمة والمشي بين الناس بالوقيعة وأضراره في الدنيا وعقابه في الأخرة .

بعض الحضور في المسجد قالوا : الشيخ علي أجاد في الخطبة الله يبارك فيه .

- الحاج محمد : يا شيخ علي فيه عربية كارو موجودة أمام السكن بتاعك ال في المسجد تحمل عفشك عليها وتاخد ولادك لأي قرية خارج العمودية ولا داعي إني أفتح في أي كلام ثم التفت إلى شيخ الخفر وقال له : تروح تخلع البالطوا بتاعك والطاقية وسلمهم في العمودية .. وسلم السلاح ال معاك في السلاحليك وادخل حجرة الحجز لحد أما أجيلك .

الأصوات تعالت في المسجد .. الناس ينظرون إلى بعضهم البعض .. لا أحد يعرف ما الذي يحدث .. شيخ الخفر يتسائل : هو فيه أيه يا عمدة ؟؟

- الحاج محمد : ال بقوله يتنفذ فوراً .. وبدون نقاش .. خده يا حميدة واتحفظ عليه في حجرة الحجز ونفذ ال بقول عليه .
- الحاج محمد : وانت كمان يا شيخ البلد كنت راجل قد المسؤولية وتعبت كتير وأن عايز أريحك اليومين ال انت عايشهم لذلك عفيتك من مشيخة البلد ويا ريت تاخده يا حميدة مع شيخ الخفر يونسوا بعض في الحجز .

الصدمة أصابت الجميع .. الهمهمات بدأت بين الحضور

الحاج محمد التفت إلى الحضور وقال لهم : بالنسبة لشيخ المسجد ففاقد الشيء لا يعطيه أتأمرون الناس بالبر يا شيخ علي وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون .. أظن انت عارف ال حصل منك .. تحب افتح في الموضوع علشان الناس تعرف ولا مفيش داعي واكفي على الخبر ماجور .. لو أنا غلطان أو ال انت عارفه محصلش اتكلم .

شيخ المسجد أصبح في حالة يرثى لها من هول الصفعة التي لطمت وجهه .

- الحاج محمد : عامة يا شيخ علي أنا قلت عيبه في حقي أضيع هيبتك وانت شيخ مسجد وحافظ كتاب ربنا وأحاديث رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام واتحفظ عليك مع شيخ الخفر وشيخ البلد فاكتفيت بإبعادك عن العمودية .
- شيخ المسجد : استسمحك في مهلة لا تزيد على يومين .. كي أدبر أموري وأحوالي وأجد مكاناً يناسبني .
- الحاج محمد : ولا ساعة واحدة .. العصر مشوفكش في العمودية كلها .. ثم التفت بوجهه إلى الشيخين الأخرين وقال لهما : أيه رأيك يا شيخ الخفر انت وشيخ البلد يال المفروض عليكم حفظ الأمن واستقرار العمودية والمحافظة عليها وتضعوا أيدكم في إيدي من أجل العمودية .. دا أنا كنت بقول انتم عكازي ال بتسند عليه وعنيه ال بشوف بها .. افتح ولا أخلي الطابق مستور .. ما تقولنا كدا يا شيخ علي رأيك فيمن يخرج على طاعة ولي الأمر .. فين لما كنت بتقول وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ال كنت مصدعنا بها أيام زمان .. أليست طاعة ولي الأمر واجبة ما دامت فيما لا يغضب الله يا شيخ علي ؟؟ أم أن الأمر تغير واصبح الخروج عليه أمر جائز .

ثم التفت الحاج محمد إلى سعيد ابن العمدة السابق وقال له : أنا عينتك شيخاً للبلد وأنا عارف إن عندك خبرة كويسة وستكون شيخ بلد كفء .. العمدة الله يرحمه كان بيعتمد عليك في كل أموره .

ثم التفت إلى محسن وقال له : وانت هتمسك شيخ الخفر .. يا محسن يا ابني متفكرش ده مهمة سهلة دي أصعب مما تتصور .. أنت هتكون ملزم ومسئول عن حفظ الأمن في كل قرى العمودية .. والناس لازم تعيش مطمأنة على بيوتها وزراعتها ومواشيهم وعلى أولادهم وأنا لن أجد اكفأ منك للمهمة دي .. وإياك وظلم الناس فالظلم ظلمـات يا بني ربنا حرم الظلم على نفسه وجعله بيننا محرماً .. ويا محسن يا ابني اتقي دعوة الـمظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب .

ويا سعيد انت ومحسن الأعمـار بيد الله أنا لم اتسبب في موت أبوكم ولا حاجة .. العمدة الله يرحمه حصلت له الجلطة دي مرتين قبل كده, ثم أنا ماخدتش منه العمودية ولا العمودية لازمه ليه .. دي تكليف وليست تشريف وعبء كبير ربنا يقدرنا على تحملها .

ولـمـا انتهى من كلامه مع أولاد العمدة الراحل التفت إلى ناظر الـمدرسة وقال له : إسمـاعيل ابنك درس في الأزهر ومتفوق وباسم الله ما شاء الله لـمـا كان بيغيب الشيخ علي لأي سبب كان بيطلع يخطب مكانه بسم الله ما شاء الله وسمعته طيبة ولا يخشي في الحق لومة لائم ليس كمشايخ السلطان .. إسمـاعيل يتولى مهمة الـمسجد وإمامة الناس وربنا معاه وعايزه يفتح كُتاب ويعلم الأطفال القرآن والقراءة والكتابة وسنعمل له راتب كل زرعة .. ثم تقدم صفوف الـمصلين ووقف حيث كان شيخ الـمسجد جالساً وقال بصوت مرتفع : أنا بنبه على الكل أهم حاجه عندي راحت الناس ومصالحهم .. وبحب الصراحة ال يشوفني أخطأت في حاجة ينبهني ويوجهني فأنا لست معصوم من الخطأ .. وأنا اتكلمت مع علوان باشا في مواضيع مهمة سنقدمها لأهل البلد في القريب العاجل .

ولـمـا انتهى الحاج محمد من كلامه خرج الناس من الـمسجد وقد رسمت على معظم وجوهم ابتسامة ولـمـا لا وقد ابتعد عنهم شيوخ الشر الثلاث .. الشيخ الأول والثاني قادهم حميدة إلى الحجز وأما ثالثهم فقد خرج يبحث عن مكان أخر يمكث فيه بعد أن صدر فرمان الحاج محمد بترحيله من كافة قرى العمودية .

****

نكسة وانقـــلاب

وبعد مضي أسبوع على فرمانات الحاج محمد بحجز شيخ البلد وشيخ الخفر وتعيين سعيد ومحسن بدلاً منهما .. ذهب بعض كُبراء البلد للحاج محمد ليتوسطا للشيخين ويستسمحوا الحاج محمد في إطلاق سراحهما, والاكتفاء بترحيلهم خارج قرى العمودية كما فعل مع شيخ المسجد .. وتحت إلحاح منهم رضخ الحاج محمد لمطلبهم ولكنه حذر المتوسطين لهما وأخبرهم بأنهما سيحملان في أنفسهما حقداً وضغينةً للجميع ولن يتذكرا لأحد خيراً قط .. وأنه لو اتيحت لهم الفرصة مرة أخرى سينقضوا علينا وسيسعوا للانتقام منا ولو على حساب العمودية فلن يهمهم سوى مصلحتهم .. والأهالي طيبيون وسوف ينساقون خلفهم وينخدعون بكلامهم .. لكنهم طمأنوا الحاج محمد بكلام معسول فقال : الأيام بيننا وسوف تثبت لنا ذلك .

ومرت الأيام وقضى أهل العمودية أيام رمضان في جو ديني وأسري جميل .. وتناولوا طعام الافطار في الفضاء المجاور للمسجد كل يوم .. وقضوا ليلة القدر في حضور علوان باشا وأسرته .. ثم قام الحاج محمد بذبح الذبائح وتوزيع الهدايا عليهم وترجل هو وعلوان باشا والحاج إصلاح والحاج وهدان وسعيد ومحسن وقاموا بتوزيع الزكاة على فقراء العمودية .. ويوم العيد تبادلوا التهاني .

وبعد نهاية إجازة العيد كان العمل في المصنع والمدرسة ومضرب الأرز قائم على قدم وساق .. بدأ العمال يألفوا الأغاني والأناشيد ليتغنوا بها حال عملهم .. العمودية لم يعد فيها فقير يمد يده حيث يصل له كل ما يحتاجه شهرياً وبصفة دورية منتظمة .. بل أصبحت العمودية بها اكتفاء ذاتي لكل ما تحتاجه بل وتصدر الفائض للعموديات المجاورة لها .

وفي أواخر شهر شوال توجه الحاج محمد صحبة زوجتيه لأداء فريضة الحج التي تستغرق حوالي ثلاثة أشهر وترك الأمر لشيخ البلد سعيد ابن العمدة السابق .. وخلال هذه الفترة تواصل شيوخ الشر الثلاث المطرودين من القرية مع سعيد شيخ البلد والقائم بأعمال العمدة لحين عودته من الحج ودار بينهم الحديث التالي

شيخ المسجد : يا بني, العمودية حقك الشرعي وورثك من أبيك عليه رحمة الله, فأنت ابنه الأكبر ولولا أن الزنديق المدعو زوراً بالحاج محمد خرج على أبيك واستولى عليها وتسبب في موته لكنت الآن عمدة لنا .. ثم تلاعب بك وقام بتعينك شيخ بلد حتى يضمن ولائك له ولا تطالبه بحقك الشرعي في عمودية أبيك .. وتلاعب أيضاً بأخيك الأصغر محسن وولاه شياخة الخفر حتى يجعله أداة في يده يضرب بها الكل ويحتمي بها .. يا بني خروجك عليه حق كفله الشرع والقانون لك فأنت تطالب بحقك المغتصب ونحن جميعاً نساندك وندعمك .

- شيخ البلد : عارف يا سعيد يا ابني الراجل الظالم ده بعدنا مخصوص عنكم علشان محدش مننا يقف معاكم ونطالبه بحقوقكم وندعمكم .
- شيخ الخفر : يا سعيد يا ابن الغالي عاوزك تعرف وتتأكد إن ال هو عمله معانا مش بعيد يعمله معاك أنت وأخوك في أي لحظة وساعتها مش هتعرفوا تعملوا معاه حاجة ..ده فرصتنا إننا ناخد حقنا, وفرصتك إنك تاخد حقك وحق أبوك منه .

وبعد ساعة من الحديث مع الشاب المسكين استطاعوا أن يوقدوا بداخله فتيل الفتنة الذي لم يشتعل بعد .. ولم يتوقف شيوخ الشر عند هذا الحد بل على وجه السرعة توجهوا لزوجة علوان باشا مستغلين سفر علوان باشا للخارج .. وأخبروها أن الحاج محمد سيطر على علوان باشا واستولى هو وأولاده على خير الأرض ونسبوا المشاريع التي ينشئها علوان باشا إلى أنفسهم وأنه سيطلق اسمه عليها .

وأضاف شيخ المسجد : وصلني خبر بالأمس أنه ينتوي الترشح في مجلس النواب على مقعد علوان باشا وأولاده يحشدون أهل الدائرة لصالحه .

- وأما شيخ البلد فقال : الحاج محمد بيقدم لأهل الكفر وأهل العمودية خدمات من مالكم ومن خيركم باسمه هو .. وبعدين هو مبيعملش كدا علشان أهل العمودية؛ لكنه يلمع نفسه ويمهد الأرض للانقضاض على علوان باشا .. ويخبر أهل العمودية أنه صاحب الفضل في كل ما يقدمه لهم .

وبالفعل نجح أعوان الشر في إشعال الفتيل الثاني وتبقى لهم فتيل أخر ليطيحوا بالمسكين الغائب .. لم ينتظروا كثيراً وعلى الفور وبمجرد أن عادوا من البندر حتى كلفوا أعوانهم بنشر الاشاعات في العمودية .. بأن الحاج محمد سيترشح لمجلس النواب وما أن ينجح سيستولى على عزبة علوان باشا وسيمنع عنكم كل شيء ولن يقوم بتشغيل أحد في تلك المشاريع بل سيجلب لها عمال من خارج العمودية تحت مسمي أنهم أهل خبرة وما أنتم إلا هدف مؤقت لتحقيق أغراضه .. وأنه سافر للحج هو وزوجتيه من خير علوان باشا ومن أموالكم التي تبرع بها علوان باشا لكم ومن الأموال التي استقطعها من المشاريع الخاصة بالعمودية ومن أموال الزكاة .. ولو كان فيه خير ما حج هو وزوجتيه ووزع عليكم نفقات الحج فأنتم أولى بها .

بدأ عوام الناس والفقراء يصدقون تلك الاشاعات ويرددوها ويدعون على الحاج محمد ويطلقون عليه الاشاعات .. وما أن عاد علوان باشا من الخارج إلا وأخبرته زوجته وأولاده بكل ذلك واقنعته أنه لابد من عزله من العمودية وتعيين سعيد ابن العمدة السابق عمدة جديداً للكفر .

جلس علوان باشا مع نفسه وراجع شريط الاحداث فقال لنفسه ولـما لا ؟! أكيد أن ما يقوم به من أجل نفسه وأولاده .. وأكيد أنه يخطط لذلك ليستولي على العزبة والـمشاريع وكذا مقعد البرلـمـان .. لا لا لا بد أن يتم عزله .. ولابد أن يتوقف العمل بالـمصنع والـمدرسة ومضرب الأرز وسأقوم بنقلهم إلى العزبة الأخرى التي امتلكها في الصعيد لم ينتظر علوان باشا كثيراً وعلى الفور أصدر أمراً بعزل الحج محمد من العمودية وتعيين سعيد عمدة ورد الشيخ علي وشيخ البلد وشيخ الخفر إلى مناصبهم وطرد إبراهيم من نظارة العزبة والأطيان الخاصة به .. وبدأ الأهالي يقولون الحمد لله لقد تخلصنا منه, لقد كان كابوس كاتم على أنفسنا ويخطط له ولأولاده ومن يعترض عليه سيقوم بطرده كمـا فعل مع شيخ الـمسجد وشيخ البلد وشيخ الخفر .

وفي فجر يوم الاثنين عاد الحاج محمد من الحج فوجد الأهالي من العوام والفقراء بدلاً من أن يقابلوه بالترحاب ويهنئونه على الحج وجدهم يقابلونه بالسباب والشتم وإلقائه بالحجارة ويقولون له حجك مردود عليك كيف تحج من مال زكاتنا ؟!

هل هكذا ترد الـمعروف الذي قدمه لك علوان باشا ؟! تريد أن تستولى على مقعده في البرلـمـان !! تريد أن تستولى على أطيانه .. أين أموال زكاتنا يا حرامي ؟!

الحاج محمد لم يستوعب بعد ما يحدث .. ما الذي حدث في غيابه أين سعيد ؟!

وعلى الفور قام الأهالي وحملوا سعيد على أكتافهم وظلوا يهتفون له بالروح بالدم نفديك يا سعيد .. وهنا أدرك الحاج محمد حقيقة ما حدث في غيابه فلم يتكلم بكلمة بل أخذ زوجتيه وانصرف عنهم .. دخل الحاج محمد إلى بيته توضأ وصلى ركعتين والأهالي بالخارج تقذف بيته بالطوب يتقدمهم الشيخ علي وشيخ البلد وشيخ الخفر .

بعد أن فرغ الحاج محمد من صلاته نادى على زوجتيه وقال لهما : كل واحدة منكم تحضر ولادها وزوجاتهم وأولادهم والكل ينتظروني في الحوش برة .

ولما اكتمل الشمل واجتمع الكبار والصغار خرج عليهم الحاج محمد وقال : انظروا يا أولادي الحرب قد شُنت علينا وأعرف جيداً من أشعلوها إياكم وأن تضعفوا إياكم وأن تستسلموا للرياح العاتية التي ستُشن ضدنا .. اعلموا أنهم سيحاربونا في أرزاقنا وسيمنعوا الكل أن يتعامل معنا أو يعمل في أرضنا .. والناس هنا لا حيلة لهم البسطاء معاكم معاكم عليكم عليكم .. ال يتجوز أمهم بيكون عمهم لا تعولوا عليهم في شيء ال متغطي بهم عريان .

- الحاج محمد : يا أولادي لابد أن تظهروا أمام أهل القرية أنكم أقوياء وأن ما حدث لم ولن يؤثر فينا .. اهتموا بزراعتكم, والحمد لله لدينا كافة مستلزمات الزراعة النوارج والمحاريث وساقية الري والمواشي والدواب .. لدينا التقاوي اللازمة لزراعتنا, لن نحتاج لأي أحد من أهالي العمودية .. اعتمدوا على الله ثم على أنفسكم .. أريد أن تكون زراعتنا أفضل زراعة وأنا سأبحث عن طريقه لتسويق زراعتنا خارج العمودية لن نستعين بأي عمال من داخل العمودية .. أرضنا سنُفلحها بأنفسنا .
- الحاج محمد : الكلام للجميع لو استفزكم أحد لا تردوا عليه .. لابد أن نجبرهم بالاحتياج إلينا .. لابد أن يكون عندنا اكتفاء ذاتي في كل شيء .. الأرض تزرعوا فيها كل شيء وكل ما يلزم الأكل .. لن نشاركهم أحزانهم ولا أفراحهم .

وحال اجتماع الحاج محمد بعائلته كان شيخ المسجد وشيخ البلد وشيخ الخفر وبعض أعيان البلد مجتمعين في بيت العمدة سعيد للتآمر على الحاج محمد واتفقوا على أن يقوموا بطرده من البلد مثلما فعل بهم والتنبيه على أهالي العمودية بعدم شراء أرضه أو منزله إلا بأبخس الأسعار .. وطلبوا من العمدة أن يرسل أحد الخفراء لإحضار الحاج محمد لإبلاغه بالقرارات وترك القرية فوراً .

وبالفعل جاء أحد الخفراء وأبلغ الحاج محمد بأن العمدة سعيد يريده حالاً .. وكان الحاج محمد على علم بأن الكل مجتمع بدوار العمدة .

فرد الحاج محمد وقال : مع احترامي للعمدة ولكن أخبره أن من يريد الحاج محمد فليأتي إليه في بيته .

عاد الخفير برسالة الحاج محمد, فاشتاط الحضور عندما بلغهم الرد وقاموا بتسخين العمدة سعيد وقالوا له : أرأيتك بنفسك كيف يحتقرك ؟! إنه يستهين بك لا بد من رد فعل قوي ضده حتى يعرف حجمه .. إنها إهانة لك .. وعلى الفور كلف العمدة شيخ الخفر بأن يذهب إليه هو وعشرة من رجاله ولا يرجعوا من غيره .. وعندما وصلوا إلى بيته وجدوه وأولاده في انتظارهم أمام البيت .

فقال لهم الحاج محمد : من يريد أن تترمل زوجته ويتيتم أولاده فليقترب من بيتي .. اخبروا سعيد أن بيت الحاج محمد مفتوح له ولكل من معه .. يشرفني في أي وقت وهذا لا يقلل من شأنه ولا ينقص من كرامته .. إنما أن أذهب إليه وحوله مجموعة الأفاقين فلن يحدث .

وما كان من الخفر وشيخهم إلا الانصراف, وإطلاع العمدة بما حدث معهم .. وبعد صلاة العشاء توجه الحاج محمد برفقة صديقيه الحاج إصلاح والحاج وهدان إلى دوار العمدة .

- الحاج محمد : لـمـا تحب تطلبني يا عمدة لا ترسل لي أحداً من رجال الإدارة حتى لا يأخذ الأمر صفة الرسمية ويقال ضعاف النفوس أني مقبوض عليّ .. كنت أتمنى أن ترسل لي محسن أخوك بدل من شوية الخفر بتوعك .

ولـمـا انتهى الحاج محمد من عتابه أبلغه العمدة بالقرارات التي اتخذت ضده وطالبه بترك العمودية إلى أي قرية خارجها هو وآل بيته .

الحاج محمد بلهجة شديدة : الأرض عرض ومن يفرط في أرضه كمن فرط في عرضه ولست أنا من يفرط في أرضه ولا في عرضه ولو بطلوع الروح, لست أنا من يترك بيته كنت أتمنى أن تكون قراراتك من رأسك ولا يمليها عليك شلة الـمنتفعين .. عليه العوض أنا فكرت إن العمدة والدك الله يرحمه ترك من سيسد فراغه ويحمل اسمه وأنا اتسمت فيك خيراً يوم أن وليتك الـمشيخة على أمل أن تكون عمدتنا بعد ذلك .. لكن تسيب الافاقين وأصحاب الـمصالح الشخصية تسيطر عليك من أولها كدا .. لا لا يا عمدة؛ أرضي وبيتي وأولادي خط أحمر .. ثم نادى على محسن شقيقه وعلى والدتهم وقال لهم : انصحي ابنك يا أم سعيد يتصرف صح .. الشوية ال ملمومين عليه دول هيضيعوه ويهمهم مصلحتهم .. يا محسن يا ابني عرف أخوك حقيقة ال حواليه .. وإن هم أول ناس هيشمتوا فيه لو لا قدر الله وقع .. ومش الحاج محمد ال ممكن يترك بيته وأرضه .

الحاج محمد مخاطباً سعيد : يا عمدة أرضي وبيتي والـمواشي بتاعتي لو حد مسهم بشيء سأحملك أنت الـمسؤولية .. نبه على الكلاب بتوعك لو حد قرب منهم لأي من ممتلكاتي هكسر رجله .. دي بلدي وبلد أبائي وأجدادي .. وهعيش وأموت واندفن فيها .. ثم استأذن الحاج محمد وانصرف هو وصاحباه .

أما الشيوخ الثلاث ومن على شاكلتهم كانوا يتلصصوا على الحاج محمد وهو ذاهب إلى العمدة من نفسه وفرحوا بذلك ولكنهم عندما فوجئوا به يخرج من دوار العمدة في زهو مرفوع الرأس .. انتابتهم الحسرة واسرعوا إلى دوار العمدة ليقفوا على ما تم .. فشاهدهم الحاج محمد وقال لهم : بدري عليكم يا شوية أراجوزات, مش الحاج محمد ال يتاكل عضمه .. أنا عضمي ني مبيستويش وممكن لو عضمة مني اتحاشت في زور حد فيكم تموته ثم تفل على الأرض وقال : إخس !!

لكن لم يرد أحد منهم بأي كلمة ووضع كل منهم وجهه في الأرض وتوجهوا ناحية دوار العمدة .

وفي الطريق واساه صديقه إصلاح وطلب منه الصبر على ما حل به .. ولكنه قال له : يا إصلاح يا أخويا هذا الأمر كله لا يعني لي شيء .. فقط أحزنني حال أهالي الكفر .. يصدقون كل ما يقال لهم ويتبعون غيرهم بلا أدنى تفكير .

وأما رفيق دربه وهدان فقد أكد له أنه معه وإلى جواره دائماً .. لا ولن يتخلى عنه أبداً مهما كلفه الأمر .

****

الثـــأر

ولـمـا وصل الحاج محمد إلى بيته نادى على زوجته الثانية محاسن وقال لها : يا محاسن تعالى عاوزك في موضوع مهم .

- محاسن : خير يا حاج .
- الحاج محمد : أنا اخترت عروسة لابنك حسن .. أخر العنقود وهو الوحيد من اخواته ال لسه متجوزش وأهو بالـمرة نفرح بدل الهم والغم ال احنا فيه .
- محاسن : ال انت شايفه يا أخويا .. هو احنا نقدر نكسر لك كلمة .. بس يا ترى من هي سعيدة الحظ ال اختارتها لابننا حسن .. أنا عارفه ومتأكدة إن اختيارك دوماً في محله .
- الحاج محمد : أنا اخترت له بنت عمدة البر الشرقي .. عمدة مالي هدومه وله كلمة مسموعة وعلاقاته ومعارفه واسعة .. وصديق لي من زمان وتوطدت علاقتنا أكتر أيام العمودية .. وتعرفت عن طريقه على مأمور الـمركز ورئيس الـمباحث وحكمدار الـمديرية, هو صحيح الفرح هيكلفنا كتير لكن كله بثمنه يا حاجة .
- محاسن : وانت عرفت حسن يا حاج ولا لسه؟!
- الحاج محمد : لا لسه معرفتهوش بس أما يرجع من الغيط هعرفه وبعدين أنا أخدت معاد من العمدة إننا هنروح لهم بكرة إن شاء الله ونقرأ الفاتحة .. وفي خلال شهر نجهز له بيته ونعمل الفرح بس أنا عاوز الـموضوع ده يفضل سر .

ثم نادى على زوجته الأولى جلالة وأطلعها على الأمر وباركته .. وفي المساء بعد صلاة العشاء أطلع أولاده جميعهم على ما انتهى إليه وقال لهم : يا أولادي إحنا داخلين على مرحلة صعبة وإذ لم تتذأبوا أكلتكم الذئاب ولكن احترسوا وخذوا حذركم ولا تبدأوا أولاً, ولا يستفزكم أحد فتخطأوا .. واعلموا يا أولادي أن الحق إذا لم توجد قوة بجانبه تسانده فهو والعدم سواء ونحن في هذا التوقيت في أمس الحاجة إلى تلك القوة ولذلك كان اختياري في زواج أخيكم حسن .

وجميعهم أشادوا برأي أبيهم وتفهموه وفي اليوم التالي توجه هو وزوجته محاسن وابنه حسن وابنه الأكبر إبراهيم إلى منزل عمدة البر الشرقي وقاموا بخطبة ابنته وقرأوا الفاتحة .. وأخبر الحاج محمد عمدة البر الشرقي والد عروس ابنه أن الفرح بعد شهر ومن الآن عليه دعوة المأمور ورئيس المباحث ونائب المأمور وحكمدار المديرية لحضور الفرح ونائب دائرته .

وفي ظرف أسبوعين كان الحاج محمد قد قام ببناء منزل لابنه حسن وقام بتجهيزه وقبل الفرح بأسبوع فوجئ أهالي العمودية بالحاج محمد قد أحضر عمال الفراشة وبدأوا في نصب صوان كبير ومسرح وطلاء واجهة منازله وإعداد مكان للطعام .

وبدأت التكهنات والتسريبات بأن الصوان والتجهيزات كون الحاج محمد سيزوج ابنه حسن .. ولكن لا أحد يعرف من العروس ومن والدها ولا حتى صديقيه .. وقام شيخ المسجد وشيخ البلد وشيخ الخفر والخفراء وبعض المرضي من أصحاب المصالح بتحريض أهالي العمودية على عدم الحضور حتى يفسدوا على الحاج محمد فرحته ويظهر منبوذ أمام أهل العروس

وفي المساء توجه الحاج محمد صحبة زوجته محاسن إلى دوار العمدة سعيد ودعوته هو وأخاه محسن ووالدتهم وقال له : كل بلد لها كبير وانت يا عمدة كبيرها ولا يصح أن أقوم بعمل فرح لابني بدون حضوركم وتشريفكم, ولابد من حضوركم لاستقبال الحضور واطلعه على المدعويين .. وأن الفرح ستحييه فرقة بديعة مصابني .

وفي الصباح وردت إشارة من مركز الشرطة إلى عمدة الناحية بأن يكون هو والخفر وشيخ الخفر وجميع المشايخ مع قوة من المركز في استقبال الحكمدار والمأمور ورجاله الذين سيحضروا حفل زفاف ابن الحاج محمد على ابنة عمدة البر الشرقي .. أصيب الكل بصدمة وذهول من هول المفاجئة وقبل الفرح بيوم بدأ نحر الذبائح وقيام الطباخين الذي أحضرهم الحاج محمد من المديرية وهم من طباخين القصور بإعداد الطبخ ولوازمه .

كما توجه الحاج محمد إلى علوان باشا هو وزوجته محاسن ودعاهم لحضور الفرح وأخبرهم بالمدعويين وقال له : الفرح فرحك ولك أن تدعوا من تشاء ولن يكتمل الفرح إلا بحضورك والهانم وكل شيء معمول حسابه وشيء يشرفك .

بدأ حفل الفرح وكان الحاج محمد قد استعد جيداً لاستقبال المدعوين وملأت الشرطة المكان منذ الصباح الباكر واصطفت على جانبي الطريق وحول السرادق المقام للحفل لحراسته وحراسة الحضور .. وحضر الفرح وفود كثيرة من العموديات المجاورة ونواب المركز وبعد تناول طعام الغذاء انصرف الحكمدار وظل المأمور ورجاله لمشاهدة فرقة بديعه مصابني وكانت ليلة من ليالي العمر .

بدأ الكل يحاولون التودد والتقرب إلى الحاج محمد والاعتذار له عما بدر منهم ولكنه كان يقول لهم : ليس الأن أنا في ظروف لا تسمح لي بالتكلم في هذه الأمور التافهة .. ليس الحاج محمد من ينظر أو ينشغل أو يعلق على الأمور التافهة .

علوان باشا بعد أن فرغ من الفرح اقترح على زوجته سلوى هانم أن يقضيا يومين أو ثلاثة في العزبة لتفقد زراعتهم ومراجعة الفلاحين ومحاسبتهم وبيان المحاصيل ال تم حصادها فوافقته .. وعندما وصلا إلى العزبة لم يجدوا أحداً في استقبالهم وأن الفيلا ليس بها أحد .. والخفر نائمين فنادى : يا عم جمعة .. انت يا زفت يا ال اسمك جمعة

حضر جمعه مُسرعاً للباشا وقال : أنا أسف يا باشا أصل أم العيال خلفت توأم امبارح وأنا كنت مشغول بها ثواني سأنادي على الولاد علشان أنضف لكم الفيلا وعلى الخفر اعذرني يا باشا غصب عني .

- علوان باشا : تجمع لي الفلاحين بكرة العصر ويكون معاهم الناظر وكاتب النظارة فتحي بالدفاتر .
- جمعة : حاضر يا باشا .
- سلوي هانم : الفيلا زي ما تكون مهجورة وكلها تراب والخفر لازم يتأدبوا مش دول مهمتهم حراسة الفيلا والقيام بنظافتها .. وكمان ماكينة النور مفيش فيها سولار يعني ننام في الظلام لازم يتصرفوا الأن ويشغلوا الماكينة .
- جمعه : في ثواني يا هانم تكون كل حاجة تمام وعلى الفور قام جمعة وأولاده وبعض زوجات الفلاحين والخفر بتنظيف الفيلا واحضار سولار لماكينة النور وإنارة الفيلا وقاموا بتجهيز بعض المشروب الساخن لهم .

في الصباح تفقد علوان باشا وسلوي هانم الأطيان فلاحظا إهمال شديد من عدم تطهير المصارف والمراوي والزراعة بها الكثير من الحشائش فعاد إلى الفيلا وهو في حالة غضب وعندما حضر ناظر العزبة ثار عليه علوان باشا وهاج وقال له : أنا عايز أعرف انت دورك أيه ؟؟ وأيه الاهمال الجسيم ال شوفته النهاردا في الأرض والأطيان والمزرعة .

ولم يكتفى علوان باشا عند هذا الحد بل قام بتوبيخ الفلاحين وهددهم بالطرد .. وعند مراجعته محصول القطن والأرز ومضاهتهم بإنتاج العام الماضي تبين له وجود عجز كبير فقال لفتحي : لا بد أن أعرف سبب هذا العجز في الانتاج أكيد فيه محصول اتسرق .. العجز ده بسبب أيه وراح فين ؟!

- فتحي : يا باشا الدفاتر سليمة وكل الوارد والصادر أنا بكتبه بنفسي يوم بيوم .

علوان باشا نادي علي خفر القرية وقال لهم : أنا عايزكم تفتشوا كل بيوت الفلاحين وتعرفوني من ال خزن قطن عنده أو أرز ويكون متجمع هنا وأعرف ازاي أخدوه قبل أن يتم الحساب .. دا سرقه وسأقوم بإبلاغ الشرطة عنهم السنة ال تولى فيها إبراهيم ابن الحاج محمد نظارة العزبة كان الإنتاج ضعف الموجود الأن .. كان منظر الأرض يفرح .. الزرع كان بيضحك والمراوي والمصارف أيضاً .

- الخفر : حاضر يا باشا .

حصل عملية ارتباك بين الفلاحين والخفر والناظر ورعب .. الكل انصرف, ودار حديث بين علوان باشا وسلوى هانم : أكيد أنا وانتي تسرعنا في الحكم على الحاج محمد وأولاده وظلمناهم .

- سلوى هانم : لا ظلمناهم ولا حاجة .. الراجل دا داهية يا علوان ومش ساهل .

- علوان باشا : دا راجل بيفكر كويس وقبل ما بيحط رجله بيعرف هو بيحطها فين .. أنا تعجبت يا سلوى عندما جاء يدعونا لفرح ابنه بعد ال أنا عملته معه وأخدت منه العمودية واعطيتها لسعيد ابن العمدة السابق وطردت ابنه من نظارة العزبة .. هل لاحظتي كلامه وأسلوبه الراقي وهو يدعونا لحضور فرح ابنه .. وأحضر معه زوجته خصيصاً لكي تقوم بدعوتك .. شوفتي كلامه وهو بيقول : ميصحش أعمل فرح من غير ما يكون حضرتك يا باشا أنت والهانم موجودين .. دا حضوركم شرف كبير لنا انت كبيرنا ونائب دايرتنا وفي المثل عندنا بيقولوا ال مالوش كبير بيشتري له كبير .
- سلوى هانم : فعلاً يا علوان بيفهم في الأصول لا يصح أن يقوم هو بدعوتي .
- علوان باشا : شاهدتي التجهيزات والإعدادات والطبخ والمدعوين .
- سلوى هانم : والأكتر إنه مبيغلطش وده السبب ال خلاني أخاف منه .. لكن ازاي عرف يدعو الحكمدار والمأمور ورئيس المباحث ؟! أكيد على علاقة كبيرة بهم .

علوان باشا : بل بالعكس تصرفاته واتباعه الأصول تجعلني أطمن له الراجل دا الفرح يكلفه ثمن خمسة أفدنة .. لا وكمان كان داعي العمدة ال أخد العمودية منه وأخوه ووالدتهم .. ولكن ال بتعجب له لماذا لم يقم بدعوة أي أحد أخر من القرية ؟!

- سلوى هانم : والله الراجل ده أنا احترت فيه .

وفي اليوم التالي فوجئ علوان باشا بالحاج محمد يحضر إليه ومعه ابنه إبراهيم ومعهم عدة أقفاص وكراتين واستأذن للدخول وقال لعلوان باشا : النبي قبل الهدية ودي حاجة بسيطة من خيركم ديكين رومي ودكرين بط وشوية مشلتت بالسمنة البلدي وجبنة قديمة من المش وكحك وبسكوت من الفرح .. وحياة الهانم وغلاوتها عندك وعندنا ما انت كاسفني ورادد الهدية, وأنا عارف مدى غلاوة الهانم عندك علشان كدا حلفتك بها كدا ولا أيه يا سلوى هانم ؟!

علوان باشا وسلوي هانم ضحكوا وقالوا هديتك مقبولة يا عمدة

- الحاج محمد : لا يا باشا .. لا يا هانم يا ريت يا حاج محمد أفضل .. ومعلش بقا أنا هستأذن لأن حمى ابني عمدة البر الشرقي والست حرمة ومعاهم أقاربهم على وصول بالصباحية عقبال ما نفرح بالبهوات الصغيرين وتكون حاجة كبيرة وليست زي أفراح الناس الغلابة ال زينا .. وأنا سأحضر من غير دعوة وسأكون لابس الأسموكن وأنا جاي علشان يسمحوا لي بالدخول .
- علوان باشا : انت تشرف أي مكان بجلبابك وعمامتك يا حاج محمد أهو بقول يا حاج محمد علشان متزعلش .. وبعدين أنت مستعجل ليه ؟!
- الحاج محمد : أنا لسه هسافر للبندر .. المأمور ورئيس المباحث لازم يوصلهم نصيبهم ناس شرفونا ورفعوا راسنا .. أنا كنت سامع إن البيه المأمور ناوي يعمل عقيقة لابنه فوعدته بخروفين هدية مني للبيه الصغير .. ثم انصرف

سلوي هانم قالت لعلوان باشا : أنا قلت لك الراجل ال اسمه الحاج محمد ولا أي حاجة ممكن تعديه اطلاقاً متخرج من أي جامعة دا في أوروبا .

- علوان باشا : متخرج من مدرسة الحياة يا سلوى .. مدرسة الحياة بتخرج ناس دارسة فنون الحياة والتعامل مع الناس أكتر من ال بيتلقوا تعليم في أكبر جامعات العالم .. مع إنه لم يتلقى أي تعليم ولم يغادر البندر .. كم من أناس تلقوا التعليم وحصلوا على أعلى الشهادات ولكنهم لا يستطيعون إدارة أي مؤسسة أو شركة أو التعامل مع الناس ومعلوماتهم تنحصر فيما تعلموه فقط .. التعامل مع الناس فن يُدرس .

بعد أن انصرف الحاج محمد وولده إبراهيم من فيلا علوان باشا لمحا على بُعد شيخ البلد وشيخ الخفر وشيخ المسجد ومعهم بعض أعيان القرية والذين لم يتم دعوتهم في الفرح متوجهين نحو منزل سعيد العمدة .. فتواروا منهم حتى لا يروهم وعادا إلى منزلهم لاستقبال ضيوفهم ممن احضروا صبحية ابنهم حسن .

وقال الحاج محمد لولده إبراهيم : دول رايحين عند العمدة يفرغوا الشحنة الموجودة بداخلهم علشان مدعتهمش للفرح واتحرموا من الوليمة ومن مشاهدة الحضور وفرقة بديعه مصابني .

- ابراهيم : ال محيرني يابا الحاج انت كنت بترفض تعمل فرح لنا وتقول انتم أولى به فلماذا قمت بهذا الحفل الكبير ودعوة كبار المسؤولين ؟؟ وكذا اختيار ابنة عمدة البر الشرقي لحسن أخويا ؟!
- الحاج محمد : لما نخلص الفرح ونرتاح شوية هعرفك أنت وأخواتك بكل ال بيدور في دماغكم وشاغلكم .

وفي منزل العمدة سعيد كان الجمع .. شيخ المسجد : يا عمدة نحن لنا عندك عتاب كبير الحاج محمد قام بدعوتنا جميعاً لفرح ابنه وأخذنا جميعاً قرار بعدم الحضور من أجلك أليس هو الذي تسبب في وفاة العمدة الكبير الله يرحمة الفاتحة علي روحه الطاهرة .. الكل قرأ الفاتحة وبعدها استمر في الحديث وأخد العمودية منه مجرد ما يدعوك تلبي دعوته وتصطحب منصور أفندي والست الحاجة الكبيرة وتعمل له قيمة واعتبار يصح كدا يا رجالة .

جميعهم لا ما يصحش خالص ولم نتوقع ذلك من حضرة العمدة كبيرنا وقدوتنا .. لا وكمان تجمع الخفر كلهم وتجبر شيخ الخفر يكون موجود .

- العمدة : أنا لو حتى رفضت دعوته كنت سأحضر إجباري جاءتني إشارة من المأمور إن أكون مستعد ورجالي في استقبالهم وحكمدار المديرية ومدير المديرية مع القوة ال حضرت من المركز لتأمين المكان .
- شيخ المسجد : نحن حضرنا إليك اليوم معاتبين .. ثم لكي نحذرك منه الحاج محمد إنه ثعبان أملس كونه لن يتراجع إلا إذا أخد منك العمودية كما أخذها من والدك رحمة الله عليه وهذ الأمر لو حدث سيكون إهانة لك ولنا جميعاً .
- العمدة : أنا أعلم أنه لم يقم بدعوة أي أحد منكم وهذا الأمر هو سبب غضبكم وزعلكم .. وضحك ضحكة عالية جعلتهم يشتطاون غيظاً ولو كان دعاكم ما تأخرتم ولأتيتموه مهرولين؛ حتى لا تفوتكم الوليمة الكبيرة التي زكمت أنوفكم رائحتها .. بجد كان فرح سبع نجوم طباخين من المديرية وأكل قصور لا وكمان فاتتكم الفرجة على بديعة مصابني وفرقتها .. الراجل ده الفرح يكلفه كتير ال مستغرب له عامل الفرح بالصورة دي ليه والناس ال مدعوين حكمدار المديرية ومدير المديرية ووكلاء المديرية وكل رجالة مركز الشرطة .

- شيخ المسجد : ما هو دا ال محيرنا كلنا يا عمدة ..لا وكمان قام بدعوة علوان باشا والست الهانم مع الرغم إنه من قام بعزله من العمودية .. ولكن ما قام به هو اسفاف وبذخ مخالف للشرع والدين ويجب رفع دعوى حسبة والحجر عليه .. فقراء العمودية أولى به خصوصاً وهم كثيرون فلقمه في بطن جائع خير من بناء الف جامع .. وخير ممن كسا الكعبة وألبسها البراقع, وخير ممن قام لله راكع وخير ممن جاهد الكفر بسيف مهند قاطع, وخير ممن صام الدهر والحر واقع .. وإذا نزل الدقيق في بطن جائع له نور كنور الشمس ساطع .. فيا بشري لمن أطعم جائع .

كل الحضور الله الله يا شيخ علي دا كلام صح الصح بسم الله ما شاء الله بارك الله فيك

- شيخ البلد : يعمل مهرجان بحجة زواج ابنه ما هو ياما جوز ولاده وبناته وكان بيعمله في السر ولما كنا نقول له هل يوجد وليمه يا حاج محمد مع شوية فرفشه يقول حرام وبدعة وولادي أولى به .. ما كان مُحرم عنده بالأمس أصبح حلال ومُباح اليوم البلد بها ناس تنام جوعي وعرايا ولا مأوي لهم أليسوا كانوا أولى بهذا السفه والبذخ .
- عويس أفندي : الراجل ده لازم نقاطعه ولا نشتري منه ولا نبيع له ونمنعه من دخول المسجد .
- خيري أفندي : انتو متعلافوش إنه بيحاول يزرع في أرضه كل حاجه وبيسوق زراعته خارج العمودية وبيحضر عمال من العُمديات المجاورة بالاشتراك مع أولاده وزوجاتهم وأحفاده وفيه بعض العوام الذي كان يمد يده لهم بالمساعدات ويعطف عليهم سيطعاطفون معه .

- طاهر أفندي : إذن لازم نسلط عليه من يقومون بحرق زراعته وحرق منازله ونلفق قضايا له ولأولاده ونحضر الشهود على ذلك ونشوه سمعته وسمعة آل بيته وكل من يتعاطف معهم عن طريق بث الاشاعات ضدهم وترديدها ونحذر أي أحد يتعاطف معهم أنه سيناله ما ينالهم وعوام الناس بيعوموا مع العايمة وبيصدقوا أي كلام يقال والمهمة دي على العمدة وشيخ الخفر ورجالتهم .. حتى يضطر ليبيع أرضه ومنازله فلا يجد من يشتريها منه, وحينها نقول له هذه الأرض والمنازل حكر ووقف لفقراء العمودية وليست ملك لك وسنقيم عليها مشروعات نفع عام للعمودية وبذلك سنكسب تعاطف الجميع معنا .

استقر الأمر عند أعوان الشيطان على تدبير حلية لإلحاق الضرر بالحاج محمد وأهل بيته .. حتى يجبروهم على ترك بيوتهم وأراضيهم ويرحلون من الكفر .

وعلى الجانب الأخر كان الحاج محمد وابنه إبراهيم قد وصلا إلى منزلهم .. إبراهيم لح على أبيه بأن يخبره عن سبب الفرح المكلف ودعوة من دعاهم من كبار المديرية وعلى رأسهم علوان باشا وزوجته سلوى هانم والعمدة وآل بيته ورفضه دعوة الباقين واختيار ابنة عمدة البر الشرقي لأخيه حسن كزوجة له .. فطلب منه والده أن يجمع اخواته الذكور فقط وينتظروه في حجرة الجلوس .

وبعد أن اجتمعوا قال لهم : يا أولادي أنا أعلم أنه يدور في أذهانكم أسأله كثيرة تريدون أن تقفوا عليها وهذا حقكم .. وأنا من نفسي كنت سأخبركم عنها, فأنا ما تعودت أن أتخذ قرار من نفسي دون استشارتكم والرجوع إليكم إو اطلاعكم عليه في حينه .. إلا أنه نظراً لتصارع الأحداث جعلتني اتصرف من تلقاء نفسي دون الرجوع إليكم, وإن كنت أعلم أنكم كنتم ستشاطروني الرأي .. اعترف يا أولادي بخطئي عندما تسرعت وقبلت العمودية ولكن ما دفعني إلى قبولها الظلم الذي رأيته واقع على الناس من فرض إتاوات عليهم .. وإجبارهم علي بيع أراضيهم للعمدة وحاشيته بالقوة والحجوزات التي تتوقع عليهم وتعرضهم للسجن بسبب ودون سبب .. وأن الجهل كان يضرب بأرجاء العمودية والفقر والمرض والظلم المستشري, فقلت يجب عليَّ أن لا أتردد في قبولها لعلي أستطيع أن أخرجهم من المستنقع الذي يعيشون فيه .. وأكون سبباً في انتشالهم منه وعمل شيء لهم ولأولادهم .

العمودية تفتقر لأدنى الخدمات وليس بها مدرسة ولا حتى كُتّاب ولا أي مصنع أو مشروع يمكن أن يُدِر دخل على أهالي العمودية ويكون باب رزق لهم .. وتسرعي هذا دفعني لخطأ افدح إذ أنني لم أعمل حساباً للأباطرة من أصحاب الحظوة والمال الملتفين حول العمدة السابق الله يرحمه من أجل مصالحهم .. وأن في ازاحته ازاحه لهم .. فكان يجب عدم التسرع في اللعب معهم وعدم إعلان عداوتهم إلا بعد توطيد أركان العمودية ثم تقليم أظافرهم كلاً على حدة وتباعاً .. تسرعت في اكتساب عداوتهم, وهم لهم رجالهم من المنتفعين والطامحين والمتوغلين داخل أركان العمودية .. ولذلك بعد أن تم عزلي علمت أنه ستشن حرب ضروس عليَّ منهم بواسطة أذنابهم وحوارييهم والناس مساكين سيصدقون ما يقال ما دمت أصبحت فرد عادي مثلهم .. وسيتناسون ما شرعت في عمله وتضحيتي من أجلهم .

فمـا كان عليّ إلا أن أظهر للجميع أنني لي ظهر يحميني وعصا أتوكأ عليها عند الحاجة ولـي علاقات واسعة ومعارف .. ويقولون في الـمثل ال ملوش ضهر بينضرب على بطنه .. فكانت مصاهرتي لعمدة البر الشرقي .. وعمل فرح يكلفني الكثير بدعوة مدير الـمديرية ووكلائها وحكمدار الـمديرية ورجال مركز الشرطة .

- حسن : إذن لـمـاذا دعوت العمدة وآل بيته وكذا علوان باشا وزوجته سلوى هانم وهم يضمرون لك العداء وسبب عزلك من العمودية ؟!
- الحاج محمد : أولاً العمدة كان هيحضر ورجالته بصفته رجل الإدارة .. فبدلاً من أن يحضر رغم عن أنفي وسيكون مضطر وبالتالي ستكون بيننا عداوة كبيرة, فقلت لا بد من دعوته ووالدته وشقيقه نائبه لتكون بجميلة وتمنع الأفاقين من استغلال عدم دعوتي له .. أما بالنسبة لدعوتي لعلوان باشا وزوجته وهو من اتهمني بالخيانة وخلعي من العمودية فهذا رجل واصل وله كلمة مسموعة وهو نائب الدايرة وزوجته لها تأثير عليه وفي قراراته ويلجأ إليها بالمشورة دوماً ورأيها مسموع عنده وهي من طلبت منه خلعي من العمودية .. وسوف نحتاجه وعلى الأقل أكسر عينه واتجنب ما قد يحدث منه ضدي لو طُلِب منه ذلك ولا يجب أن تتسع دائرة العداوة لي ويمكن احتاجه في الـمستقبل .

وكذا لا يصح أن أعمل فرح في دائرته وهو نائبها وكبيرها وسيحضر كبار الـمديرية والـمركز ولا يكون موجود في استقبالهم

- السيد : طيب واحنا المفروض هنعمل أيه في الفترة الجاية ؟؟

- الحاج محمد : سؤال طيب ومتوقع منك يا سيد أولاً يجب عدم إطلاع أياً من نسائكم على ما يدور بيننا من أحاديث وما يحاك لنا وما سنقوم بعمله كرد فعل .. انتم تعلمون أن النساء لا يخفون شيء عن أقاربهم وفي أيام كثيرة يكونوا فيها في حالة ضعف وعند زعل المرأة من زوجها لأتفه الأسباب ممكن أن تفتش سره دون قصد وبعدها لا يفيد الندم .

نحن سنمر بمرحلة عصيبة والتضييق علينا وتشويه سمعتنا من الملتفين حول العمدة سعيد ورجاله وأصحاب المصالح تقرباً إليه وتودداً ولرد اعتبارهم لسبق استبعادي لهم خارج قرى العمودية .. فيجب عدم الرد ولابد أن يكون عندنا اكتفاء ذاتي في كل شيء ونمشي بكبرياء وثقه وعزة نفس ونلقي السلام على كل من نقابله ومن نراه ينظر إلينا ويضحك بسخرية أو تهكم .. ننظر إليه ونضحك ثم نتركه ولا نبالي ولا تتوقفوا عن فعل الخير لمن يستحقه .. وهناك طبقة مساكين بيتم توجيههم بالإشارة هؤلاء مساكين لاحول لهم ولا قوة متشغلوش بالكم بهم ولا تضيعوا وقتكم معهم اعطفوا عليهم لله كما يجب أن نتوقع أي شيء ممكن يحدث لنا .

وفي الجانب الآخر كان اجتماع فريق الشر قائم في دوار العمدة

- شيخ البلد : ينفع يا عمدة نترك الحاج محمد كده بعد اهانته لنا وتجاهلنا .. تركه ممكن يكون فرصة لناس كثيرين أن يحذوا حذوه ويخرجون علينا .. وبالتالي يصعب علينا السيطرة عليهم ويفلت الزمام من بين أيدينا ولا نستطيع حفظ الأمن .
- العمدة : يا رجالة الحاج محمد ليس بالسهل وظهره مسنود ومعاداته غلط كبير ويجب إنزاله منزلته .. والحاج محمد عنده ميزة بأنه في حاله .. ولم يسبق أن سمعنا عنه أو أي أحد من أولاده عمل غلط .

- شيخ الخفر : الحاج محمد راجل خبيث وليس بالسهل ومهما يكون مسنود احنا نسلط عليه الأهالي يتهموا أولاده وأولادهم باتهامات كيدية ويتم تلفيق قضايا لهم والشهود كثيرة وما أسهل تشويه السمعة .
- عويس أفندي : هل حضرتك تخشاه يا عمدة أراك تعمل له حساب ؟!
- العمدة : عيب ال بتقوله ده يا عويس أفندي .. أنا لا أخاف إلا من الله ولكني أخبركم بما يكون غائب عنكم أو لم تعملوا له حساب ثم أي شكوى تقدم لي سأقوم بتحويلها إلى المركز وأخلي مسؤوليتي .

وفي اليوم التالي فوجئ الحاج محمد بأحد الخفر يطرق باب بيته وينادي : يا حاج محمد فيه شكوتين تم تقديمهما إلى جناب العمدة ضد إسلام ابن ابنك السيد والوليد ابن ابنك إبراهيم بسرقة ذرة وفول من أرض عوض ومرزوق والعمدة حاول معاهم إنهم يتنازلوا لكنهم أصروا وكمان معاهم الشهود ال شافوا العيال وهم بيسرقوا وتعدوا عليهم بالضرب وأحدثوا بهم إصابات .. والناس ثائرة ومتجمعة عند دوار العمدة والعمدة هو ال كلفني بإحضارهم علشان يبحث الشكوى ويعرضهم على المركز .. ومأمور المركز أصبح عنده علم بالواقعة؛ لأن جناب العمدة بلغ المأمور بعدما رفض عوض ومرزوق التنازل عن شكواهم .

- الحاج محمد : طيب اسبقني عند العمدة .. هغير هدومي وجاي وراك أهو .

وعندما سمعت كل من والدة إسلام ووالدة وليد حفيدي الحاج محمد توجها إلى الحاجة جلالة جدة الصغيرين وهما تبكيان خوفاً على ولديهما وتطلب منها أن تتوسط لدى حماهم أن يرفض تسليم الولدين إلى المركز والتفاوض مع مقدمي الشكوى بالتنازل عنها بأي فلوس .

وبعد أن سمعهمـا الحاج محمد زعق فيهمـا وقال : من تولول على ولدها فعليها التوجه لبيت أبيها وسوف أرسل لها ابنها لتتصرف هي في الأمر .. أنا لا أريد أن أسمع صوت أي منكمـا .. فالتزمتا الصمت وهما يقضمـان على أسنانهم والدموع تسح من عيونهم .

ارتدي الحاج محمد جلبابه الصوف والعباءة والعمـامة وأخذ العصا الـمعوجة في يده وذهب إلى دوار العمدة شامخاً رافعاً رأسه وعندما شاهده الحضور ضحكوا بشمـاته .. دخل الحاج محمد قائلاً : السلام عليكم جناب العمدة فقط أمّا أي أحد آخر فلا سلام له .. ثم جلس غير بالي بالأخرين وظل يخبط بيده على رأس العصا الـمعوجة .

رد العمدة السلام .. ونظر الحضور إلى الحاج محمد بدهشة واستغراب لتجاهله لهم وشدة لهجته .

- ثم قال الحاج محمد : خير يا جناب العمدة .
- العمدة : لدي شكوى مقدمة ضد أحفادك بأنهم تعدوا على أرض عوض ومرزوق وسرقوا منها كمية من الذرة والفول وبعض الأهالي شاهدوهم حال السرقة فتعدوا على من حاولوا الامساك بهم بالضرب وهم موجودين فمـا رأيك في ذلك ؟!

نظر الحاج محمد إلى كلا من عوض ومرزوق وقال لهمـا : هل أنتم متأكدين من صحة شكواكم ؟؟ وكذا أحضرتهم شهود أيضاً الأمر مُحاك جيداً ومدروس .

- ردوا عليه : نعم الأولاد سرقوا وما أبلغنا إلا بمـا علمنا به وشهد به الشهود .

فوجه الحاج محمد حديثه للعمدة قائلاً : لو سمحت يا جناب العمدة حول شكواهم للمركز ولنا هناك كلام أمام السيد رئيس الـمباحث .. ولكن أرجوك يا عمدة عندما يثبت عدم صحة الشكوى ويحبس عوض ومرزوق بتهمة البلاغ الكاذب ..

ويحبس الشهود بتهمة الشهادة الزور لا تطلب مني التنازل أو تتشفع لهم عندي مع احترامي لجنابك .. ودعهم حينها يجعلوا من دفعوهم لذلك يدافعوا عنهم أو يُسجنوا بدلاً منهم أحفادي يا عمدة في المعهد الأزهري بطنطا وساكنين بها وعندهم امتحانات وسوف أحضر أوراق تثبت ذلك .. وسأوكل لهم أكبر محامي في المديرية وسأدفع له من خمسة قروش الي مائة قرش .. وحينها يريني كلاً منهم ماذا سيفعل بالنكلة ولا بالمليم ال أخدوه من ال دفعوهم لذلك .

ثم أنا سأبلغ حالاً علوان باشا وسلوى هانم أصحاب الأرض بعملية السرقة وسأقول لهما الفلاحين ال بيزرعوا في أرضكم ويأكلون في خيركم سرقوا محصولكم ويتهموا به الشرفاء .. ولا بد أن يفتش في بيوتكم ليرى بها المحاصيل التي قمتم بسرقتها وبالمرة باقي المزارعين .. وأنا متمسك بتحويل البلاغ وقد علمت من الخفير أن جنابك اتصلت بالمركز وأخبرتهم بالواقعة .

- العمدة : فعلاً يا حاج محمد أنا بلغت المركز عندما أصر عوض ومرزوق وشهودهم شهدوا بذلك .
- فرد الحاج محمد وقال : أظن إن الشيخ علي شيخ المسجد قد أفتى لهم بأن تقديم شكوى كاذبة ضد الحاج محمد فهي حلال ويُثابوا عليها أيضاً كون ذلك يساعد على حفظ الأمن في العمودية وردع لكل منحرف يتسبب في إحداث قلق بالعمودية صح ولا أنا غلطان يا شيخ علي .

لم يرد الشيخ علي وطأطأ رأسه ناحية الأرض .. فرد شيخ البلد وقال : أيه التخاريف ال بتقولها دي يا محمد ؟!

نظر إليه الحاج محمد وقال له بصوت أجش : اخرص قطع لسانك اسمي الحاج محمد يا شيخ البلد انت سكران ولا أيه .. فوق واعرف انت بتكلم مين, والله لولا احترامي لجناب العمدة لكسرت راسك بالعصا .. أنا ال بخرف يا شيخ عِرة عن إذنك يا عمدة ونتقابل في المركز وبالنسبة لشيخ البلد فمقابلتنا في المديرية عند الحكمدار .. أما انت يا شيخ علي فلنا كلام عند وكيل الأوقاف في المديرية, انتم مشيتم في طريق غلط أنا لحمي مُر وصعب أكله .

- العمدة : اتفضل اقعد يا حاج محمد وعيب كدا يا شيخ البلد .

جلس الحاج محمد وقال : أسف يا عمدة إني عليت صوتي في حضرتك .. انت رمز العمودية وكبيرها ولكن ما حدث من تطاول في حضرتك أمر لا يجب السكوت عنه .

فتلجلج عوض ومرزوق وقالوا : نريد أن نتنازل عن شكوانا يا عمدة .. والمسامح كريم واحنا أهل والولاد زي ولادنا

- رد الحاج محمد : أسف بس أنامش هتنازل إلا إذا عرفت مين ال دفعكم إلى تقديم الشكوى ضد أحفادي .. اليوم تتهمون أحفادي بالسرقة وغداً تتهموا أولادي بحريق منازلكم وزراعتكم .. وبعد غد لا أعرف ماذا ستدبرون لي .

حاول العمدة تهدئة الحاج محمد وتطييب خاطره, إلا أن الحاج محمد أصر وقال : لا بد أعرف مين ال وراء هذه الشكاوي .. وأنا عارف كويس إن عوض ومرزوق مساكين وميعرفوش طريق البندر فين, ومتأكد إنهم مدفوعين من الغير ومغلوبين على أمرهم وكمان عارف ومتأكد من ال ورائهم, وكل واحد منهم تقاضي 2 مليم .. وكل شاهد واخد مليم .

حينها قام شيخ البلد وشيخ المسجد وبعض أصحاب الحظوة بالانسحاب .. فقال الحاج محمد : أظن يا عمدة الانسحاب من مجلسك دون استاذان خطأ كبير واستهانه بجنابك .

العمدة أمرهم بالجلوس وعدم الانصراف فقالوا : نحن ليس لنا علاقة بهذا الأمر ولا يخصنا بشيء .. ونحن كنا عندك مصادفة ولكن الحاج محمد يلوح لنا بكلام لا نقبله وكأننا المحرضين فالأفضل لنا إننا ننصرف .

- الحاج محمد: ال على راسه بطحه يحسس عليها .. وأنا باستأذنك يا عمدة علشان أنا هقوم أسافر طنطا؛ لاحضر أحفادي ومعهم شهادات المعهد ال هتأكد أنهم كانوا موجودين فيه يومياً ومقيمين بطنطا وأوكل محامي .
- العمدة : الموضوع بسيط وسوف أخطر مأمور المركز بأن الموضوع انتهى وأن الشاكيين تنازلوا عن شكواهم وعثروا على المسروقات .
- الحاج محمد : أسف يا عمدة .. أنا لازم أعرف ال ورائهم .
- العمدة : يا حاج محمد إن الله حليم ستار وعفا الله عما سلف والحمد لله .

أبى الحاج محمد إلا أن يعرف من وراء هذه الشكوى الباطلة لكن عوض ومرزوق خشي أن يفصحا عن أسماء من حرضوهم ودفعوا لهذا .

- الحاج محمد : لو مقولتوش دلوقتي من ال حرضكم ودفعكم لاتهام أحفادي بالباطل هخليكم تعترفوا بأسمائهم واحد واحد أمام السيد رئيس المباحث من أجل إجراء تحرياته .. الموضوع سرقة وليس شيئاً هين فيه تدمير لمستقبل أحفادي وسجنهم لو ثبت صحته, وأنا لا أقبل ولن أتهاون فيه وأرجوك يا عمدة تحويل البلاغ للمركز .

قام سعيد العمدة بتحويل البلاغ للمركز وأرسل خفير مع عوض ومرزوق لسؤالهم في شكواهم .. وتوجه الحاج محمد إلى البندر ومنه إلى طنطا حيث استقل سيارة مخصوصة ذهاباً وإياباً لإحضار أحفاده .. والأوراق التي تثبت أنهم بالمعهد الأزهري .

بدأ الكل ينظر للآخر في توجس وريبة, هل فعلاً الأولاد في الأزهر أم أنها مجرد حيلة وخدعة من حيل وخدع الحاج محمد فهو رجل ماكر .. وما كان من ثلاثي الشر شيخ البلد وشيخ الخفر وشيخ المسجد إلا أن بدأوا يطمئنوا عوض ومرزوق ويقولوا لهم تمسكوا بأقوالكم والشهود أيضا معكم وسيدعموا موقفكم ولا تهتزوا فأنتم الأعلون وسيأتي لمس أكتاف هذه المرة ولن يفلت منا .

ولا بد أن ننشر في القرية بعض الاشاعات حتى تصل بيته بأن الأولاد سيتم سجنهم بتهمة السرقة لمدة سنتين على الأقل .. ثم بثوا الحماس فيهم وقالوا لهم : نحن معكم ولن نتخلى عنكم وسنتحمل كل المصاريف ونفقاتكم إلى أن نسجن أحفاده فتثور أمهاتهم عليهم وتنشق أسرته ولا يستطيع السيطرة عليهم بعد ذلك .

- شيخ المسجد : إنكم بتقديم هذه الشكاوي ضد هذا الرجل إنما تقدمون خدمة جليلة لكل أهالي العمودية ولن تنسى لكم هذا الصنيع .. وستذكركم أجيال عديدة ستأتي بعدكم بما فعلتموه .. من أجل استقرار الأمن وتوفير لقمة العيش للفقراء وحماية الدين منه ومن أفكاره المتطرفة وخروجه على شيخ المسجد فقد اتخذ من الدين مطية لكي يخدع به البسطاء .

وبالفعل طلب عوض ومرزوق من العمدة تحويل شكاويهم إلى المركز وعلى الفور اصطحب أحد الخفراء عوض ومرزوق والشهود إلى المركز .. ونظراً لكونها واقعة سرقة تم تحويلهم لرئيس المباحث ليتولى تحقيقها وإجراء التحريات وإرسال أحد المخبرين لإحضار المتهمين والقبض عليهم .

وانتظروا جميعاً بديوان المركز لحين حضور السيد رئيس المباحث .. إذا كان في مأمورية ضبط أحد الأشقياء .. وبعد أن جاء من مأموريته بدأ في التحقيق وسماع أقوال عوض ومرزوق وشهودهم, وقبل أن ينتهي من التحقيق فوجئوا بدخول الحاج محمد وحفيديه عليهم فقام رئيس المباحث بمصافحته بحرارة وقال له : خير يا حاج محمد يا راجل يا طيب .. اتفضل اجلس تشرب أيه ؟؟

تبادلوا الترحاب وقال له رئيس المباحث : والله أنا نفسي تمسك العمودية مكان العمدة سعيد الظاهر إنه مش قادر على السيطرة على الأمور في العمودية .. أهي واقعة سرقة متحوله عليَّ من عنده أهي ولم يستطع حلها !!

وإذ بعوض ومرزوق وشهودهم يتصببون عرقاً ويتمنوا أن تنخسف الأرض بهم .. فضحك الحاج محمد وقال : أهو أنا قبضت لك على المتهمين حتى لا تكلف سيادتك مشقة البحث والقبض عليهم ومعهم الأدلة التي بتدينهم .. تلميذان بمعهد طنطا الأزهري حافظين لكتاب الله, واستأذنت من شيخ المعهد بالسماح لي بالقبض عليهم واحضارهم لسيادتك لتجري تحقيق موسع معهم .. إنهم أحفادي .

أصيب رئيس المباحث بدهشة وقال : أحفادك ! معقول ! ازاي ؟! الظاهر الشغل احلو .. احكيلي يا حاج محمد الحكاية من أولها لآخرها علشان أفهم الموضوع .

قص عليه الحاج محمد الحكاية وما يحاك له من ثلاثي الشر .. وهنا نادى على ثلاثة من المخبرين وقال لهم : أوصيكم بهؤلاء خيراً حتى نعرف الحقيقة منهم .

وهنا صرخ عوض ومرزوق وقالوا : هنقولك الحقيقة يا باشا .. احنا غلابة ومدفوعين ولا حول لنا ولا قوة .. منهم لله هم ال ورطونا احنا كان مالنا, ونشهد الله يا حضرة الباشا إن الحاج محمد رجل طيب وبيعطف علينا وعمرنا ما شوفنا أحفاده ولا نعرفهم .. وهنا تشفع لهم الحاج محمد وقال لرئيس المباحث : هؤلاء مساكين لا يملكون من أمرهم شيء وإن كان لي خاطر عن سيادتك سامحهم .

- رئيس المباحث : طيبتك يا حاج محمد هي ال بتطمع الناس دي فيك .
- الحاج محمد : المسامح كريم يا باشا .
- رئيس المباحث للمخبرين : أنا عايز شيخ البلد وشيخ الخفر وشيخ المسجد عندي دلوقتي ويا ريت ميعرفوش إن الحاج محمد ولا أحفاده عندي .. والعيال ال عندك برة دخلوهم الحجز مؤقتاً لحين البحث في أمرهم .

وبدأ يتحدث مع الحاج محمد وقال له : إيه رأيك في إني أطلب من السيد المأمور كتابة مذكرة وأوقع عليها معه ونرفعها للمديرية بعزل العمدة وتعينك عمدة .

- الحاج محمد : لا يصح يا باشا سعيد اعتبره ابن لي مثل أولادي .. وهو كُفء وسيثبت ذلك مع الأيام بمجرد إزاحة شلة الشر من حوله .
- رئيس المباحث : طيب أيه رأيك يا حاج محمد لو رشحت حد من أولادك لمشيخة البلد مكان الحالي .
- الحاج محمد : مفيش مانع حسن ابني ال حضرتك شرفتنا وحضرت فرحه متزوج من ابنة عمدة البر الشرقي ممكن يكون شيخ بلد .. ولد شهم ويعرف الحق ولا يخشى في الحق لومة لائم ولن يظلم أحد عنده .. ولكن الخطورة في شيخ الخفر رأس الفساد هو وشيخ المسجد .

وهنا شاهد رئيس المباحث المخبرين ومعهم ثلاثي الشر .. فطلب من الحاج محمد أن يجلس في حجرة المأمور مؤقتاً مع حفيديه حتى لا يروه وينتهي من التحقيق معهم ودخل المخبرين بثلاثي الشر على رئيس المباحث؛ فرحب بهم ولم يظهر لهم شيء واعطاهم الأمان وبدأ يتحدث معهم وقال : عاوز أعرف منكم ال بيدور في العمودية بصفتكم المسؤولين عن أمنها ومعكم ورجل دين يشهد له الكل بالحيادية .

- رد الشيخ علي وقال : يوجد في العمودية رجل يدعي الحاج محمد يا باشا .. خطر على الدين والأمن يحاول تشكيك الناس في ثوابت الدين وفي نصوص القرآن والأحاديث النبوية وتحريفها وأخشى أن ينساق خلفه عوام الناس ويفسد عليهم حياتهم ودينهم ويستخدمهم لأغراض أخرى .

وأضاف شيخ الخفر وأولاده وأولادهم من معتادي الإجرام والسرقة وبلبلة الأمن في العمودية وقراها .. وتم التبليغ عنهم في واقعة سرقة اليوم .

- فرد رئيس المباحث : تقصدون شكوى عوض ومرزوق والشهود ؟!
- فقالوا : نعم .
- رئيس المباحث : متأكدين إنهم ال وراء السرقة؟! فأكدوا له ذلك واقسموا بأغلظ الأيمان .. وهنا طلب من المخبرين احضارهم .
- فقال مرزوق لهم بمجرد أن رآهم منكم لله دمرتونا وخربتوا بيتنا .. يا باشا الثلاثة دول هما ال حرضونا نقدم بلاغ كيدي في أحفاد الحاج محمد .. واحنا مفيش حاجة اتسرقت من عندنا خالص .

- رئيس المباحث : وهل شيخ البلد وشيخ الخفر المنوط بهم حفظ الأمن وكذا رجل الدين هيكذبوا بردو يا مرزوق ؟!
- مرزوق : اه .. يا باشا .

فنادى رئيس المباحث على الحاج محمد وحفيديه فحضروا وقال له : عاوزني أعملك فيهم أيه يا راجل يا طيب !!

- الحاج محمد : الأمر موكول لك يا باشا .
- رئيس المباحث بعد أن نادى على أحد المخبرين بالخارج : خدهم دخلهم الحجز لحين حضور المأمور وبعدين أعرض عليه الأمر وأخطر المديرية بما تم بشأنهم .

وبعد حضور المأمور عرض عليه رئيس المباحث الأمر .. فطلب منه المأمور فتح محضر والتحقيق مع ثلاثي الشر وسؤال كل من عوض ومرزوق والشهود وعمل التحريات نحو الواقعة وملابستها وعرضهم على النيابة صباح الباكر .

وبالفعل تم إجراء تحقيق مع كل من شيخ البلد وشيخ الخفر لمحاكمتهم عسكرياً ووقفهم عن العمل لحين صدور قرار بفصلهم وندب أكبر الخفراء سناً ليقوم بعمل شيخ الخفراء وإخطار المديرية بتعيين أخر ليحل محل شيخ البلد وإخطار مديرية الأوقاف لتتخذ ما تراه حيال شيخ المسجد .

عرض رئيس المباحث على مأمور المركز تولى حسن ابن الحاج محمد مشيخة البلد فوافق المأمور ورفع طلب بذلك للمديرية وانصرف الحاج محمد وحفيديه .

وبعد عرض ثلاثي الشر على النيابة أمرت بإخلاء سبيل كل منهم بعد دفع ضمان مالي قدره جنية وتحديد جلسة لنظر القضية وبعد أن سددوا الكفالة تم إخلاء سبيل شيخ المسجد, وتحويل شيخ البلد وشيخ الخفر لمحاكمتهم عسكرياً في محاكمة عاجلة وتم حبس كل منهما شهرين وعزلهم من وظيفتهم .

وقامت الأوقاف بالتنبيه على شيخ المسجد بعدم العمل بالمسجد وتولي أحد الأهالي تلك المهمة بدلاً منه .

اضمر ثلاثي الشر في أنفسهم الشر للحاج محمد بعد أن امضوا مدة العقوبة انتقاماً منه بحجة أنه شوه سمعتهم ودمر مستقبلهم

الحاج محمد كان متعود بعد صلاة فجر الجمعة من كل أسبوع التوجه لأطراف القرية حيث يقطن بها بعض الفقراء والمساكين ليعطف عليهم وكانت تقطن في نفس المكان امرأه بغي سيئة السمعة فقاموا بتحريضها على أن تقوم بالصراخ وتمزيق ملابسها عند قدوم الحاج محمد بعد صلاة الفجر .. وتدعي عليه أنه كان يريد أن ينال منها واغروها بمبلغ خمس جنيهات عند تنفيذها المهمة انقدوها منها جنيهين ونصف مقدماً .

وكان الحاج محمد قد سبق وقام بنصحها أكثر من مرة بالتوبة ومحاولة اكتساب رزقها بالحلال وعمل شريف من أي مصدر آخر بالعمل في الحقول مثل باقي عمال الأجرة ولكنها كانت لا تعير بالاً بكلامه وتقول مالي طاقة من العمل بالحقول ومع ذلك كان يعطف عليها .. وقالوا بذلك نكون قد قضينا عليه وشوهنا سمعته تماماً وأبدت موافقتها على ما طلبوه منها .

وبعد فجر يوم الجمعة توجه الحاج محمد كعادته لتفقد حالة بعض الفقراء والعطف عليهم .. هب الناس مستنفرين على صُراخ هذه المرأة فوجدوها شبه عارية من أثر تمزيقها لملابسها .. وادعت أن الحاج محمد طرق عليها بابها فلما فتحت لتتحسس الأمر وجدته تهجم عليها وحاول النيل منها بعد أن رفضت مساومته لها والحاحه عليها .. وكان ثلاثي الشر يترقبوا الموقف من بعيد فأشاعوا الخبر في القرية حتى هبت عن بكرة أبيها إلى مصدر الصراخ وأصبح منهم من ينكر على البغي ما تدعيه علي, ومنهم من يقول ولما لا هذا شيء غير مُستبعد .

ومنهم من يقول عليها أن تبلغ الشرطة ولا تسكت ونحن معها يد بيد ولابد أن يخرج الحاج محمد من القرية إنه ذئب في صورة ملاك برئ لقد ظهر على حقيقته ألا يستحي من زوجات أولاده وأولاده وزوجاته .

وبعض العوام الذين يمدهم بالمال والطعام في حيرة منهم من أنكر هذا التصرف وقال بصوت عالي الحاج محمد قد طرق أبوابنا كعادته كل يوم جمعة ومدنا بالطعام والمال وها هو ولا يمكن أن يقع منه مثل هذا التصرف وأخرون التزموا الصمت, ومنهم من قال : يااااه لقد بلغ بهذا الرجل المشيب أن يتخفي وراء عطفه علينا ويجعل من ذلك ستار لكي يذهب إلى بيت تلك المرأة لينال منها ونحن نقول ما الذي يدفعه إلى أن يأتي إلينا ويعطف علينا .

وكلما تحاول النار أن تخمد يقوم ثلاثي الشر بإشعالها من بعيد وانتقل الجميع إلى دوار العمدة .. وحاول العمدة أن يحل الأمر سلمياً إلا أن الحاج محمد أصر على أن يتم تصعيد الأمر إلى الشرطة إذا لم تعترف بكذبها ومن ورائها .

وبعد شد وجذب وترغيب وترهيب مع البغي واستدراجها بالكلام دون جدوي طلب الحاج محمد تحويلهم على الشرطة وأقسم أنه لن يتنازل عن سجنها عندما تثبت براءته .. وطردها من القرية بعد ذلك وسوف تعترف أمام رئيس المباحث بالحقيقة ومن وراء تحريضها ولن ينفعوها حينها كما حدث مع عوض ومرزوق .

ولولا تنازلي عن شكواهم لتم سجنهم مثل ثلاثي الشر وأنا أعرف كيف ستعترفي بالحقيقة وسجلك هناك موجود .. وأمام إصرارها وإبداء استعداد بعض العوام ممن كان يعطف عليهم من الشهادة معها تم تحويلهم إلى مركز الشرطة وعندما شاهدها رئيس المباحث قال لها أهلاً : أخيراً شرفتي عندنا .. انت حاضر شفيعاً لها يا حاج محمد أم شاهد .

- الحاج محمد : بل مشكو في حقه يا باشا .. إنها تتهمني بأنني حاولت النيل منها ومزقت ملابسها بهذه الصورة .
- رئيس المباحث ضاحكاً بسخرية : بتتهمك انت يا حاج محمد ؟!
- الحاج محمد : اه .. اسمع منها بنفسك يا باشا .

نادى رئيس المباحث على المخبرين وطلب منهم أن يلبسوها بنطال ويعلقوها في الفلكة ويحضروا الكرباج .. وبعد إنزال أول سوط عليها صرخت وقالت سأعترف بكل شيء يا باشا, ولكن اعطيني الأمان .

- رئيس المباحث : قولي يا عاهرة يا شرموطة .. أمان أيه دا احنا لسنا متابعين أخبارك خطوة خطوة
- فقالت : منه لله شيخ البلد وشخ الخفر والشيخ علي .. الفلوس ال اعطوها لي أهي هما ال حرضوني .. الحاج محمد كان بينصحني أبعد عن الطريق ده, وشهاده لله كان بيعطف عليَّ وعلى المساكين ال في المنطقة ومشوفتش منه إلا كل خير .. وحكت له ما دار بينها وبينهم وما وعدوها به .

علم بذلك ثلاثي الشر عن طريق عساسيهم فقالوا علينا ترك البلد والهروب إلى الجبل قبل القبض علينا .. ليس لنا إقامة هنا وصعدوا الجبل وانضموا إلى مطاريده وأبدوا استعدادهم للعمل معهم وعقدوا العزم على الانتقام من الحاج محمد في شخص ابنه حسن بقتله والذي تولى مشيخة البلد وحرق زراعتهم وسرقة مواشيهم . توالت أعمال السطو والتخريب وترويع الأهالي حتى أصاب الهلع والفزع والرعب أهالي العمودية وعجزوا عن فعل شيء وبدأت المطاريد في التجول في قرى العمودية نهاراً وفرض الاتاوات علناً .. ومن يرفض ينكلوا به ويدرموا النار في بيته بل لا يتم عمل فرح إلا بعد الحصول على موافقتهم .. وحضوره وإطلاق أعيرة نارية ابتهاجاً بحضورهم وتشريفاً لأهل العروسين ومن يرفض يتم إفساد فرحه .

وأمام عجز الخفر عن فعل شيء فهم قلة والسلاح الذي بيدهم غير صالح للاستخدام وليس به ذخيرة .. بل وأمام ضعفهم وعجزهم وقلة حيلتهم بدأوا في التعامل مع المطاريد سراً وإمدادهم بالمعلومات حماية لأرواحهم منهم مقابل حصة يتقاضونها منهم .

ازداد الأمر بلة عندما بدأ بعض الشباب ينضم إليهم لعجزهم عن توفير لقمة العيش وعدم وجود عمل بالإضافة إلى الجهل الذي استشرى بينهم وترديد الإشاعات التي يسمعوها دون أن يعوها .

المطاريد يعملون تحت علم وبصر رجال الشرطة .. بل وهم الذين يمدوهم بالسلاح ويغضون الطرف عن جرائمهم مقابل حصة من تلك المسروقات .. كما أن من يحاول مطاردتهم أو التعرض لهم سيتم تلفيق القضايا له وسجنه .

وكانت الشرطة تستعين بهم في تأديب الخارجين عليها وتدفعهم إلى ذلك بدليل أنها تتركهم يعيشون في الأرض فساداً .. ولم نرى أو نسمع أنها قبضت على أحد منهم أو محاكمته حتى صدقت الغالبية العظمي تلك الإشاعات الكاذبة .. وأصبحت الإتاوات فرض عين تدفع دون نقاش وعن طيب خاطر, وأمر واقع تعود عليه الناس من قبل أن يطلب منهم .

وأمام ذلك طلب حسن من العمدة أن يطلع المأمور ورئيس المباحث ضرورة تشكيل قوة ردع لمطارتهم بالجبل وقتلهم لأن الحياة أصبحت لا تطاق .

وبالفعل تم دراسة الأمر وإطلاع حكمدار المديرية بذلك وتم إمدادهم بقوة كبيرة من المديرية والمركز وعمل الأكمنة .. وتحديد التوقيت لمهاجمة الجبل وقتل المطاريد .

إلا أن بعض الخفر قاموا بتسريب الخبر إلى المطاريد سراً فاستعدوا للهجوم الذي سيقع عليهم فوضعوا عدة أكمنة لاصطياد رجال الشرطة ومحاصرتهم .

وفي ساعة الحسم بدأت المعركة وأصبح الجبل وكأنه كتلة نار ملتهبة إلا أن الغلبة كانت في النهاية لرجال الشرطة .. مع ما لاقوه من مُعاناه بسبب تضاريس الجبل وصعوبة صعوده ودلوف المغارات التي يختبئ بها المطاريد وتحصينها ووقع من أفراد الشرطة قتلى كثيرون .. كان من بينهم حسن الذي كان يتقدم الصفوف لإرشاد القوات عن أماكن تواجد المطاريد وكذا وقع من المطاريد أعداد كبيرة وفر من تبقى منهم .

بدأ الأهالي في التهليل والتكبير وإقامة الأفراح ابتهاجاً بإزاحة الكابوس الذي ظل كاتم على أنفاسهم لقرابة سنة .

علم الحاج محمد بخبر استشهاد ابنه حسن وبدأ في تلقي واجب العزاء الذي حضره كبار المسؤولين .. وأخبروه بأنهم سوف يطلقون اسم ابنه على القرية لتسمى باسم قرية الشهيد حسن أبو المكارم تخليداً للدور الذي قام به .

وبعد يوم مليء بالتعب والارهاق استرخى الحاج محمد على المصطبة وخلع العباءة والعمـامة والجلباب وجلس يشاهد حفيده الصغير عبد العال يحبو أمامه .. إنه يشبه أباه حسن كثيراً .. حقاً ال خلف مامتش .

- نادي على زوجته : يا جلالة .. فجاءته مسرعة .
- جلالة : نعم حاج .. انت باين عليك التعب خالص الله يكون في عونك الحِمل عليك ثقيل .. ارمي همومك على الله يا حاج وقل يا رب ربك كبير .. اعملك كوباية شاي ولا أجهزلك الأكل .. أنا سخنت حلة مياة والطشت جاهز قوم استحمى وبعدها ادخل نام .
- الحاج محمد : خذي الهدوم ده حطيها في الدولاب بعرقها وترابها واحضري لي غيار يكون مغسول .. وهاتي الواد عبد العال ده يقعد على حجري شويه .
- جلالة : أوامرك يا أبو إبراهيم .

حمل الحاج محمد حفيده الغالي ابن ابنه الغالي وقبله من جبينه وبين عينيه ووضع عمامته على رأسه وأخذه ودخل إلى حجرته ثم استلقى على سريره فغلبه النوم ولم يستفق إلا على صوت رقيق يناديه : الشاااي يا أبو محمد .. الله أنت نايم على الأرض كده ليه يا عبد العال .. مالك يا في أيه ؟! وبعدين يا أخويا فاتح الدولاب ولابس الهدوم ده بتعمل بيها أيه ؟؟

- الحاج محمد : عبد العال ؟!
- دلال : هو أنت كمـان نسيت اسمك !! مالك ؟ أنت تعبان ولا أيه ؟
- عبد العال : لا مفيش حاجة خالص .. ده كان حلم بسيط كدا وراح لحاله .

تمت بحمد اللّه

أتمنى أن أكون قد قدمت لكم ما يحترم عقولكم أيها الأحباب

المؤلف

عبد العظيم السيد خليفة

محتوى الرواية